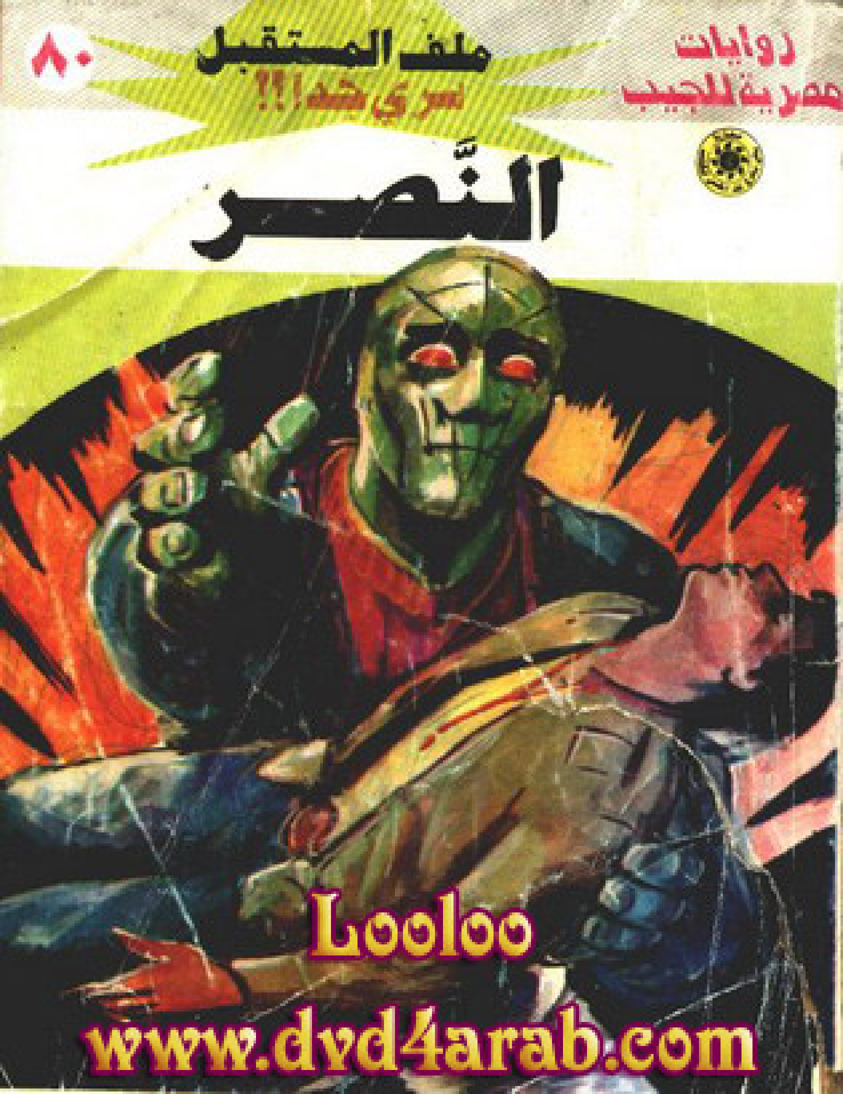
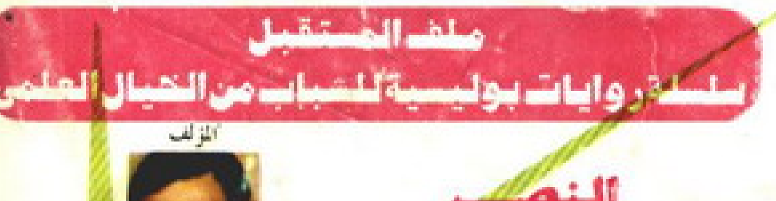


٨٠
ملف المستقبل
سري جداً!!
روايات
مصرية للجيب
النَّصر
Looloo
www.dvd4arab.com



المؤلف



د. نبيل فاروق

النصر

- ترى هل ينجو (نور) من الموت ، في أعماق المحيط الأطلنطي ؟
- ما سر الإمبراطور (أغور) ؟ وما مصير قائد الجيوش (كوماند) ؟
- من ينتصر في الجولة الأخيرة من الصراع ؟.. ومن يحوز (النصر) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه ، من أجل الأرض .



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : رمز القوة



١ ــ سقوط ..

« كلمة السر (نور) .. »

همس شيخ وقور بهذه العبارة فى حذر ، وهو يتلفّت حوله قلقًا ، أمام باب منزل صغير . اصطبغت كل جدرانه بلون أبيض شاهق ، شأن كل منازل (الدار البيضاء) ، فى المغرب ، فتطلّع إليه رجل متين البنيان بنظرة حادة ، قبل أن يفتح باب المنزل فى بطء ، هامسًا بدوره :

ــ ادخل .

أسرع الشيخ الخطا ، لدخول المنزل الصغير ، المطلّ على شاطئ المحيط الأطلنطى ، فأضاف الرجل فى حزم هامس :

ــ تظاهر بالهدوء ، وإلا أثرنا شكوكهم .

خفّف الشيخ سرعة خطواته بغتة ، حتى لقد كاد يتعثّر ، لولا أن تشبّث بيد الرجل ، وغمغم :

ــ معذرة يا ولدى .. معذرة .

ابتسم له الرجل فى تعاطف هادئ ، ثم قاده إلى أريكة واسعة ، تواجه شرفة المنزل مباشرة ، فقال الشيخ فى قلق :

— ألن يجعلنا هذا أمام عيونهم مباشرة ؟
أجابه الرجل :
— بلى .
ثم أضاف ، وهو يجلس إلى جواره :
— ولكن هذا يقلّل من شكوكهم وريبهم كثيرًا ، فما من محتلّ ، عبر التاريخ كله ، يتصوّر أن مناهضيه يمكنهم التخطيط لذبحه أمام عينيه .
أومأ الشيخ برأسه متفهمًا ، ثم اختلس نظرة عبر زجاج الشرفة إلى شاطئ المحيط ، حيث يسبح على بساط من الهواء قرص كبير ، وفوقه خمسة من جنود (جلوريال) المحتلين ، وقال :
— أتظن تاريخهم يشبه تاريخنا ؟
هزّ الرجل كتفيه ، وقال :
— ربّما .
ثم التفت بكيانه كله إلى الشيخ ، يسأله في اهتمام بالغ :
— والآن يا سيّدى .. ماذا لديك ؟
ازدرد الشيخ لعابه ، وكأنما يشحذ حواسه كلها ، قبل نقل ما لديه ، وهمس في توتّر :
— لقد اقتربت ساعة الصفر .

انتفض جسد الرجل في قوة ، وهو يهتف :
— أقتربت ؟! حقًا ؟
أومأ الشيخ برأسه إيجابًا في انفعال ، وعاد يختلس النظر إلى دورية أخرى من دوريات المحتلين ، قبل أن يقول :
— نعم .. وصلتني إشارة خاصة ؛ لكي نبدأ استعداداتنا ، وتتصل كل الشبكات بعضها ببعض ، بحيث تشتعل جذوة الحرب ، فور ارتفاع العلم الأرضي على سفينة القيادة الإمبراطورية .
سأله الرجل في انفعال :
— وكيف سنعلم بحدوث هذا ؟.. كيف ؟
أشار إليه الشيخ بالهدوء ، وأجاب :
— ستنقل لنا شاشات الأوامر هذا المشهد .. لست أدرى كيف ؟.. ولكن هذا ما سيحدث .. لن يعجز الرائد (نور) عن فعل هذا .
أومأ الرجل برأسه موافقًا في حماس ، وهو يقول :
— بالتأكيد .
ثم رفع رأسه في اعتزاز ، مستطردًا :
— لقد صار (نور) هذا رمزًا للأمل ، ورمزًا لـ ....

بتر عبارته بغتة ، وهو يعقد حاجبيه ، ويتطلّع إلى نقطة ما خارج المنزل ، مما جعل الشيخ يلتفت إلى هذه النقطة فى سرعة ، وهو يقول فى توتر :

ـــ ماذا هناك ؟

أشار الرجل إلى نقطة تتحرّك فى سرعة فى السماء ، وهو يقول :

ـــ انظر .. هناك .. يبدو لى كما لو أن مقاتلات المحتلين تطارد مقاتلة من جنسهم .

هتف الشيخ فى دهشة :

ـــ ماذا تقول ؟!.. ولماذا تطارد مقاتلات العدو بعضها البعض ، و... ؟

صاح الرجل مقاطعًا إياه :

ـــ انظر .. لقد أصيبت المقاتلة الصغيرة فى المقدّمة .. ها هو ذا خيط من الدخان الأسود يرتفع منها .. إنها ستسقط فى قلب المحيط حتمًا .

ضاقت حدقتا الشيخ ، وهو يبذل أقصى جهده ؛ لرؤية المشهد ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه فى أسف ، مغمغمًا :

ـــ معذرة يا ولدى .. لم يعد بصرى كما كان .

ثم تنهّد فى عمق ، وأضاف آسفًا :

ـــ ولست أدرى ما إذا كان سيشهد نهاية الاحتلال أم لا .

التفت إليه الرجل ، قائلًا فى حزم :

ـــ سيشهده يا سيّدى .. من المؤكّد أن هذا الاحتلال لن يبقى طويلًا ، مادام هناك رجال مثل الرائد (نور) ..

لم يدر وهو يطلقها أن هذه المقاتلة ، التى رآها تهوى فى المحيط منذ لحظات ، كانت تضمّ داخلها أمل الأرض كلها .. الرائد (نور) .. (نور الدين محمود) ..

* * *

لم يكن مشهد سقوط مقاتلة (نور) هو البداية ..

بل كان أحد المشاهد الأخيرة ، فى أقسى مأساة شهدها كوكب الأرض ، منذ فيضان (نوح) (عليه السلام) ..

لقد بدأ الأمر بسيل من النيازك ، رصده مركز الاستشعار الفضائى المصرى ، فى الصحراء الغربية ، وأعلن أنه يهدّد كوكبنا ..

وساد الذعر فى كوكب الأرض كله ..

وراح سيل النيازك يقترب فى سرعة مذهلة ..

ولكنه لم يرتطم بكوكب الأرض ..

لقد هبطت النيازك كلها على سطح الكوكب فى هدوء ، واستقرّت فوقه ، على نحو بالغ التنظيم ، فى كل قارات ودول العالم ، ثم أحيطت كل مجموعة من النيازك بقبة وردية غريبة ، فى نفس الوقت الذى اقترب فيه نيزك هائل من كوكبنا ..

وفجأة ، راح النيزك الهائل يهاجم كل الأقمار الصناعية المحيطة بالأرض ، وسحقها سحقًا ..

كل الأقمار الصناعية ..

وفى نفس اللحظة ، تحوّلت القباب الوردية إلى لون أزرق ، وانطلقت منها مئات الآلاف من المقاتلات الفضائية ، ذات السرعات الرهيبة الفائقة ، التى بدت معها سرعة مقاتلاتنا الأرضية كسرعة السلحفاة ، وراحت المقاتلات الفضائية تمطر الأرض بأشعتها الأرجوانية الساحقة ، التى أطاحت بكل معالم وصور الحضارة على الأرض ..

كل دور الكتب ..

وكل وسائل الاتصال ..

المتاحف ..

المسارح ..

مراكز الكمبيوتر والمعلومات ..

كل مظهر حضارى تحطّم وانسحق ، وذهب ..

فى ساعات انهارت حضارة قرون وقرون ..

ووسط هذا الجحيم ، انطلق (نور) وزوجته وابنته ، يحاولون جمع شمل الفريق ، وإنقاذ من يمكن إنقاذه ..

وعثروا على (محمود) ..

واختفى (رمزى) و الدكتور (حجازى) تمامًا ..

وفى محاولة أخيرة ، انطلق (نور) ورفاقه إلى مقر قيادة المخابرات العلمية المصرية ، وهناك التقوا بالقائد الأعلى للمخابرات العلميّة ، والدكتور (عبد الله) ، مدير مركز البحث العلمى ، حيث أعطى القائد الأعلى لـ (نور) حقيبة خاصّة ، تحوى مكعبات كمبيوترية ، بها كل تاريخ وحضارة وفنون وعلوم وآداب كوكب الأرض ..

وانطلق (نور) ورفاقه إلى ممر سرّى خاصّ ، فى اللحظة التى انهار فيها مقر القيادة ، ووقع القائد الأعلى والدكتور (عبد الله) فى قبضة المحتلين ، ولقيا مصرعهما ، واستتبّ الأمر للغزاة ..

وارتفع علم الغزاة الأزرق ، ذو الدائرة الحمراء ، فى كل أنحاء الأرض ..

وكانت بداية الاحتلال(*) ..

ومضى عام كامل من الاحتلال ..

وطوال هذا العام ، راح جنود الغزاة يبحثون عن (نور) ، بكل عنف وشراسة ، بقيادة قائدهم (كوماد) ، وبناء على أوامر إمبراطورهم (آغرو) ..

لم يكن أحد يدرى لماذا (نور) بالذات ؟..

لماذا يسعى الإمبراطور خلف أرضى واحد ، بكل هذه الشراسة ؟.

حتى قائد الجيوش نفسه ، لم يكن يدرى لماذا يفعل إمبراطوره هذا ؟.

بل لم يكن يدرى كيف عرف إمبراطوره بأمر (نور) ، حتى قبل أن تحتل قواتهم الأرض ؟..

ولكن هذا لم يمنع (كوماد) ، من أن يتفتق ذهنه عن فكرة جهنمية ، لإجبار (نور) على الظهور ، وإرضاء إمبراطوره (آغرو) ، وشعب كوكبه (جلوريال) ..

وأعلن (كوماد) أنه سيعدم والدى (نور) ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

واتخذ الخطوات الفعلية لهذا ..

وهنا كان على الأسطورة أن تنتقل إلى عالم الواقع ..

وظهر (نور) ..

ظهر فى مشهد خرافىّ أسطورىّ ، شاهده كل بشرى على وجه الأرض ، وشاهد مولد المقاومة ، وأوّل انتصار لـ (نور) ..

واستعاد (نور) والديه ، وعثر على رفيقيه (رمزى) و الدكتور (حجازى) ..

وارتفعت راية المقاومة ..

وجنّ جنون الإمبراطور (آغرو) ..

واشتعل غضب (كوماد) ..

وانطلقت كل عيون الحراسة للقضاء على (نور) ..

ونجح (نور) فى الفرار ، بعد أن أعلن مولد عهد جديد ..

عهد مقاومة الاحتلال(*) .

وفى شراسة منقطعة النظير ، راح (كوماد) يستجوب من وقع بين يديه من رفاق (نور) ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الثانى (المقاومة) .. المغامرة رقم (٧٧) .

ولكن (رمزى) أفقد الجميع ذاكرتهم ، بوساطة قدرته النادرة على التنويم المغناطيسى ، فلم ينجح (كوماد) فى الفوز بكلمة واحدة من أحدهم ، برغم أنه قد عرّض (محمود) لعذاب رهيب ..

وأخيرًا أرسل (كوماد) (رمزى) والدكتور (حجازى) إلى جحيم أرضىّ غامض ، يعدّه إمبراطوره على كوكب الأرض لهدف مجهول ..

وفى نفس الوقت ، كان هناك مقاتل فضائى آخر يهبط على كوكب الأرض ..

مقاتل يُدعى (بودون) ، من كوكب (أرغوران) ..

وانضمّ (بودون) إلى فريق المقاومة الأرضى ..

وانضمّ إلى الفريق مقاتل سعودى صنديد ، يُدعى (فارس) ..

وبلعبة ماهرة باسلة ، حقّقت المقاومة الأرضية نصرًا جديدًا ..

وارتفع العلم المصرى فوق مقرّ قيادة (كوماد) ..

واستعاد (نور) رفيقه (محمود) ..

ولكن لكل معركة خسائرها ..

لقد سقط المقاتل الأرغورانى البطل (بودون) ..

ولكن هذه المرحلة الجديدة لم تسقط ..

مرحلة الصراع(*) ..

وتضاعف غضب الإمبراطور (آغرو) ..

وجنّ جنون (كوماد) أكثر ..

وبدأت مرحلة التحدّى ..

وراح (كوماد) يعيد استجواب نائب القائد الأعلى للمخابرات العلميّة ، والدكتور (عبد المنعم) ، نائب مدير مركز البحث العلمى ، إلا أنه لم يلبث أن شعر بعدم جدوى هذا ، فأعادهما إلى الجحيم الأرضى ، فى نفس الوقت الذى كان (نور) يعدّ فيه لضربة جديدة ..

وتنكّر (نور) فى هيئة (كوماد) ، وذهب مع (فارس) ، وعدد من رجال المقاومة ، إلى واحدة من القباب الوردية ، وجميعهم يرتدون زى جنود (جلوريال) ..

فى نفس الوقت كان الحكيم الجلوريالى (جلاكس) يشعر بالقلق ، لذلك التحوّل العجيب ، الذى طرأ على إمبراطوره

(*) لمزيد من التفاصيل، راجع الجزء الثالث (الصراع) .. المغامرة رقم (٧٨) .

(آغرو) ، بعد أن احتلّ كوكب (أرغوران) ، ثم جنّ جنونه بغتة لاحتلال الأرض ، والقضاء على ذلك الأرضى (نور) ..

وتسلّل (جلاكس) إلى القاعة الإمبراطورية سرًّا ..

وانتفضت كل خلية من خلاياه رعبًا لما رأى ..

لم يكن هذا الجالس فى القاعة الإمبراطورية هو إمبراطوره (آغرو) الذى يعرفه ..

كان شخصًا آخر ..

بل شيئًا آخر ..

شيئًا رهيبًا ..

مخيفًا ..

وقتل ذلك الشىء ، الذى يحمل جسد الإمبراطور ، الحكيم (جلاكس) ..

ومع مصرع (جلاكس) ، كان (نور) وفريقه يواجهان موقفًا آخر ..

لقد وجدوا أمامهم (كوماد) نفسه ، داخل القبة الوردية ..

وكان لابد من اشتعال الجحيم ..

وتفجّرت المعركة ، داخل القبة الوردية ..

وتراجع جنود (جلوريال) ، أمام بسالة الأرضيين ..

وفرّ (كوماد) ..

وربح فريق (نور) ثلاثًا وثلاثين مقاتلة جلوريالية ..

وتقرّر أن يبدأ الهجوم على (الرعب الفضائى) .. ذلك الجرم الهائل ، الذى وضعه المحتلون فى المجال الأرضى ، ليراقب كل محاولة للتمرّد ، من قبل الأرضيين ..

فى نفس الوقت كان (رمزى) و الدكتور (حجازى) قد التقيا بنائب القائد الأعلى والدكتور (عبد المنعم) ، وأقنعهما (رمزى) بأن يخضعا للتنويم المغناطيسى ، فى محاولة للفرار من الجحيم الأرضى ..

وخضع له الجميع ، ثم حانت لحظة المواجهة ..

وتمرّد (رمزى) على أوامر حرّاس الجحيم الأرضى ..

وارتفعت فوّهات خمس بنادق جلوريالية فى وجه (رمزى) ..

وحانت لحظة المواجهة ..

ولم يكن (رمزى) يدرى لحظتها أن (نور) ورفاقه النور قد نجحوا فى تدمير (الرعب الفضائى) ..

دمّره (فارس) ، مضحّيًا بحياته من أجل الأرض ..

من أجل كوكبه كله ..

وبقى (نور) بمقاتلته ، التى راحت المقاتلات الجلوريالية تطاردها فى إصرار ..

وعبرت مقاتلة (نور) سماء (المغرب) ..

وانطلقت نحو المحيط الأطلنطى ..

وأصابتها طلقة من مقاتلات (جلوريال) ..

وفقدت مقاتلة (نور) توازنها ، واندفعت بسرعة نحو مياه المحيط الأطلنطى ، وارتطمت بها فى عنف ، وراحت تغوص فى أعماق المحيط فى سرعة خرافية ..

ومع ازدياد العمق والضغط ، راحت جدران المقاتلة تتهشم وتنضغط ، وأدرك (نور) أنها النهاية ..

النهاية الحقيقية (*) ..

* * *

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الرابع (التحدى) .. المغامرة رقم (٧٩) .



ومع ازدياد العمق والضغط ، راحت جدران المقاتلة تتهشم وتنضغط ، وأدرك (نور) أنها النهاية ..

٢ ـــ الأمل الأخير ..

شريط كامل من الذكريات عبر رأس (رمزى) ، فى لحظة واحدة ، وهو يواجه فوهات بنادق المحتلين الخمس ..

شريط يحمل كل تفاصيل حياته وعمله ..

وخيّل إليه أن قلبه قد توقف ، فى تلك اللحظة ، عن النبض ..

لقد كان يراهن بحياته ، على موهبته النادرة ، فى فن التنويم المغناطيسى ..

وانتفض جسده فى شدة ، عندما سمع أحد المحتلين يهتف :

ـــ اقتلوه .

وفجأة ، تفجّر الموقف ..

كان جنود (جلوريال) الخمسة يصوّبون فوهات بنادقهم القاتلة إلى صدر (رمزى) ، وخلفهم خمسة آخرون ينتظرون مصرعه ، أو يتجاهلونه تمامًا ، واثقين من نتيجة مثل هذا القتال ، بعد أكثر من عام من احتلالهم للأرض ، وقيامهم

بحراسة الأسرى الأرضيين ، الذين ينقلهم الإمبراطور إلى هذا الجحيم الخاص ..

ولكن فجأة تحرّك الدكتور (حجازى) ، ونائب القائد الأعلى ، والدكتور (عبد المنعم) ..

لم يتحرّكوا فقط ، وإنما انقضّوا ..

كالصاعقة ..

وفى قوة مذهلة ، وسرعة مدهشة ، ومهارة مثيرة ، قفز الدكتور (محمد حجازى) نحو أحد الغزاة ، وركله بقدمه فى وجهه ، ثم انتزع منه بندقيته قبل سقوطه ، ودار على عقبيه ، يضرب فكّ آخر بكعبها ، فى نفس اللحظة التى حمل فيها نائب القائد الأعلى غازيًا ثالثًا ، وضرب به رابعًا ، وانقضّ الدكتور (عبد المنعم) على الخامس كالليث ، ولكمه فى معدته لكمة كالقنبلة ، أعقبها بلكمة ساحقة فى فكه ، هوى لها الرجل ، ما بين الذهول والألم ..

كانوا كفريق من الشياطين ، جاء من أعماق الغضب ، ليدمّر جحيم الإمبراطور ..

وكانوا رمزًا لنجاح خطة (رمزى) ، الذى قفز يلتقط واحدة من بنادق الغزاة ، وهو يهتف فى انفعال :

ـــ لقد نجحنا .. نجحنا ..

ولكن قوله هذا كان سابقا لأوانه ، فمازال هناك خمسة من المحتلين ، الذين أصابهم الذهول لحظات لما رأوا ، ثم لم يلبث رئيسهم أن نفض عن نفسه هذا الذهول ، وهتف :

ــ ماذا تنتظرون ؟.. اقتلوا الجميع .

وكأنما كان هذا الأمر موجهًا للجميع ، إذ ارتفعت فوهات بنادق المحتلين الخمسة نحو أبطالنا ، فى نفس اللحظة التى ارتفعت فيها فوهات البنادق ، التى استولى عليها الأبطال ، نحو المحتلين ..

وانطلقت خيوط الأشعة الأرجوانية فى قلب الجحيم ..

وفى ذهول ، توقف كل الأسرى الأرضيين عن العمل ، وهم يحدقون فيما يحدث أمامهم ..

كانوا كمن يرى حلمًا يتحقق ، أو أملًا يولد ..

وعلى الرغم من ذلك ، امتلأت قلـــوبهم بخوف مبهم غامض ..

خوف من يخشى المجهول ..

ثم تألقت أمامهم خيوط الأشعة تعلن حقيقة ما يرونه ..

وانطلقت الصرخات فى كل مكان ..

وانقلب الخوف إلى غضب ..

ثم كانت الثورة ..

كل الأسرى انقضوا على من تبقَّى من رجال الحراسة ..

وكانت مذبحة ..

مذبحة لم تستغرق سوى دقيقة واحدة ، انسكب فيها كل الغضب الكامن فى الصدور والقلوب ، منذ أكثر من عام كامل ، على رءوس المحتلين ..

وفى غمرة ما يحدث ، هتف (رمزى) :

ــ استيقظوا .. هيا .

كانت عبارته هى كلمة السر ، التى أودعها فى رءوس رفاقه ، لينمحى من عقولهم أثر التنويم المغناطيسى ، ولم يكد ينطقها حتى تلاشى أثر التنويم المغناطيسى من الرءوس ، فانتفض الدكتور (حجازى) ، وهو يهتف :

ــ ماذا حدث ؟ .. هل نجحنا ؟

ابتسم (رمزى) ابتسامة باهتة ، وهو يجيب :

ــ نعم يا سيِّدى .. لقد نجحنا فى هذه الخطوة ، ولكننا فقدنا نائب القائد الأعلى .. لقد استشهد فى معركتنا .

تمتم الدكتور (عبد المنعم) ، وهو يجاهد لمنع دمعة حزن من الانحدار على وجهه :

ــ لكل معركة ضحاياها .

كانت ثورة الأسرى قد بلغت أوجها ، والتهب حماسهم ؛ لنجاحهم فى التغلب على حراسهم العشرة ، فالتفوا حول (رمزى) ورفيقيه ، يسألونهم عمّا ينبغى أن يفعلوه بعد هذا ، فهتف بهم (رمزى) :

ـ أوّل ما ينبغى أن نفعله ، هو أن نغادر هذا الجحيم .

سأله أحدهم متوترًا :

ـ كيف ؟.. أنت تعلم مثلنا أنه لا يوجد سوى مدخل ومخرج واحد لهذا الجحيم الرهيب ، لا يُفتح إلا عند إحضار المزيد من الأسرى ؛ لتسخيرهم فى إقامة ذلك السعير .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وقال فى حزم :

ـ سنجد الوسيلة حتمًا .

أضاف الدكتور (حجازى) فى حماس :

ـ نعم يا رجال .. لقد بدأنا حرب الحرية ، ولن نتراجع عنها أبدًا .. أليس كذلك ؟

ارتجت جدران الجحيم الإمبراطورى بصرخة هادرة ، عندما هتف الأسرى ، فى صوت رجل واحد :

ـ أبدًا .

وكانت لحظة ساخرة من لحظات القدر ..

لقد أنشأ الإمبراطور هذا الجحيم ، لتلتهم نيرانه الأرض كلها ، فشاء القدر أن تندلع من وسط هذه النيران شرارة الحرية ..

ولكن هل تكفى هذه الشرارة ؟..

هل ؟..

* * *

انحدرت دمعة حزينة من عينى (سلوى) ، فأسرعت تمسحها بأصابعها المرتعدة ، قبل أن تلمحها ابنتها (نشوى) ، ولكن هذه الأخيرة غمغمت فى مرارة :

ـ أيعنى هذا أننا قد فقدنا أبى يا أمى ؟

حاولت (سلوى) أن تجيب ، إلا أن غصّة فى حلقها منعتها من الحديث لحظات ، قبل أن تتمتم ، فى صوت متحشرج مختنق :

ـ هكذا تقول كل الشواهد يا (نشوى) .. لقد طاردت مقاتلات المحتلين مقاتلته ، وأصابوها ، وسقطت فى أعماق المحيط الأطلنطى منذ ساعة كاملة ، و .....

اختنقت كلماتها بالعبرات ، فأطلقت شهقة خافتة ، ثم انهارت مقاومتها لدموعها ، فتفجرت فى عينيها ، وسالت على وجنتيها فى حرارة ..

لقد فقدت (نور) ..

فقدت الأخ والزميل والزوج والحبيب ..

فقدتهم كلهم فى شخصه ..

أية خسارة تفوق هذا ؟..

أية مرارة تبلغ نصف مرارتها لذلك ؟..

وإلى جوارها سمعت (نشوى) تقول فى حزن غاضب :

ـــ لعن الله كل الحروب ..!!

ثم انتابتها نوبة من العصبية ، وهى تستطرد :

ـــ لماذا أخسر أبى بسبب حرب كهـــذه ؟.. لماذا هو بالذات ؟.. ليس من العدل أن يقاتل وحده ، فى سبيل كوكب كامل ، يستكين للاحتلال ، ويستسلم له هكذا .. ما كان ينبغى له أن ..

قاطعتها (سلوى) هاتفة :

ـــ كفى يا (نشوى) .

ثم أمسكت كتفى ابنتها ، وتطلعت إلى عينيها مباشرة ، وهى تستطرد فى حزم :

ـــ لو أن أباك على قيد الحياة لغضب أشد الغضب يا (نشوى) ، فقولك هذا يتنافى مع كل المبادئ ، التى عاش

ومات من أجلها .. لا يا بنيّتى .. لقد علّمنى (نور) دومًا أنه لا قيمة لحياة المرء ، لو أنه يحيا لنفسه فقط ، وأن مقاومة خطر عام ، يهدّد الجميع ، يتضمّن مقاومة ما تتعرّض له شخصيًا من المخاطر .

ترقرق الدمع فى عينى (نشوى) ، وهى تتمتم :

ـــ نعم يا أمى .. لقد لقننى أبى هذا .

ربّتت (سلوى) على كتفيها ، وقالت فى حنان :

ـــ تذكّرى دائمًا يا بنيّتى أن أباك كان فى دفاعه عن الأرض يدافع عنك ، وعنى ، وعن رفاقنا ، وكل من نحب ، ومن الرائع أن يبذل المرء حياته ، فى سبيل من يحب .

أومأت (نشوى) برأسها موافقة ، وجفّفت دموعها بأناملها ، ثم رفعت رأسها قائلة :

ـــ فليكن يا أمى .. لن تذهب تضحية أبى هباءً .. سنواصل رحلته من أجل الأرض .

عادت دمعة تترقرق فى عينيها ، وهى تستطرد :

ـــ ومن أجل من نحب .

وواصلتا رحلتهما ..

* * *

عبر (كوماد) بقامته الممشوقة مدخل سفينة القيادة الإمبراطورية ، فى الصحراء الغربية ، واتجه على الفور إلى القاعة الإمبراطورية الخاصة ، فضرب حارسها القوى كعبيه بعضهما ببعض ، وهو يرفع يده ذات القبضة المضمومة ، هاتفًا :

ـــ المجد للإمبراطور .

قال (كوماد) فى صرامة :

ـــ المجد لـ (جلوريال) .

قالها واتجه نحو باب القاعة الإمبراطورية مباشرة ، إلا أنه فوجئ بالحارس يعترض طريقه ، ويقول فى حزم :

ـــ الإمبراطور يخلو إلى نفسه ، ولقد منع دخول أى مخلوق ، و .....

صاح به (كوماد) فى غضب هائل :

ـــ هل جننت ؟

بدا الضيق مختلطًا بالصرامة على وجه الحارس ، وهو يقول :

ـــ إنها أوامر الإمبراطور .

صاح (كوماد) :

ـــ منذ متى ؟.. لم يحدث فى تاريخ (جلوريال) كله أن احتاج قائد جيوش إلى إذن خاص ، لمقابلة الإمبراطور !!

عاد الحارس يقول فى حدّة :

ـــ إنها أوامر الإمبراطور .

انتزع (كوماد) بندقيته من حزامه ، وصوّبها إلى الجندى فى غضب ، وهو يقول :

ـــ وأنا أرفض طاعة أوامر ، تخالف دستور (جلوريال) الخالد ، حتى ولو كانت أوامر الإمبراطور نفسه .

تردّد الحارس ، أمام فوهة البندقية القاتلة ، المصوّبة إلى صدره ، وقال :

ـــ سيّدى .. إنك تطالبنى بما يفوق صلاحياتى ، فلا يمكننى مخالفة أوامر الإمبراطور ، و .....

قاطعه صوت الإمبراطور (آغرو) ، عبر ناقل صوتى خاص ، وهو يقول :

ـــ اسمح له بالدخول أيها الحارس .

عقد (كوماد) حاجبيه فى غضب ، والحارس يفتح باب القاعة الإمبراطورية ، ثم أعاد بندقيته إلى حزامه ، وعبر القاعة فى خطوات واسعة ، يتصاعد الغضب مع وقع قدميه

فيها ، حتى بلغ العرش الإمبراطورى ، فرفع قبضته أمام وجهه ، وقال فى لهجة صارمة :

ــ المجد لـ (جلوريال) .

ابتسم الإمبراطور ابتسامة غامضة ، لمح فيها (كوماد) شيئًا من السخرية والاستهتار ، بدوا أكثر وضوحًا فى صوت الإمبراطور ولهجته ، وهو يقول :

يخيّل إلىّ يا عزيزى (كوماد) أن أحدًا لم يعد يستخدم هذه التحية القديمة .

عقد (كوماد) حاجبيه أكثر ، وهو يقول :

ــ ولكن المجد سيبقى دائمًا لـ (جلوريال) وحده .

قال الإمبراطور فى سخرية :

ــ هكذا ؟!

أجابه (كوماد) فى صرامة :

ــ نعم .. هكذا .

ران عليهما الصمت لحظات ، وكلاهما يتطلّع إلى عينى الآخر فى تحدٍّ ، ثم لم يلبث الإمبراطور أن اعتدل فوق عرشه ، وقال :

ــ حسنًا يا (كوماد) .. لماذا أردت مقابلة الإمبراطور ؟

اعتدل (كوماد) ، واستعاد طبيعته العسكرية ، وهو يجيب :

ــ لدى خبر سيسعد الإمبراطور .

بدا الاهتمام على وجه الإمبراطور (آغرو) ، وهو يسأله :

ــ أى خبر هذا ؟

ارتسمت ابتسامة ظافرة على شفتى (كوماد) ، وهو يقول :

ــ لقد انتهى أمر الرائد الأرضى (نور الدين) .

ارتفع حاجبا الإمبراطور ، واتسعت عيناه ، وهو يحدّق فى وجه (كوماد) ، الذى شعر بأطرافه ترتجف ، على الرغم من شجاعته ..

لقد رأى فى عينى الإمبراطور شيئًا لم يره فى مخلوق جلوريالى قط ..

أو هكذا خيّل إليه ..

لقد رأى لمحة من جحيم ..

جحيم غاضب ..

* * *

٣ ــ أوَّل الخيط ..

حامت طوّافة من طوّافات المحتلين ، حاملة علم (جلوريال) الأزرق ، الذى تتوسّطه دائرة حمراء ، فوق مدخل الجحيم الإمبراطورى ، وغمغم قائدها ، متحدّثًا إلى زميله :

ــ لقد سئمت هذه الرحلات ، من وإلى ذلك الجحيم ، الذى يقيمه إمبراطورنا هنا لسبب مجهول ، وما زلت أشعر بالتوتر ، عندما أهبط إلى أعماقه .

أطلق زميله ضحكة قصيرة ، وقال :

ــ لو أن هذا شعورك أنت ، فكيف يكون شعور هؤلاء الأسرى ، الذين تكتظ بهم الطوّافة ، عندما تضعهم فى ذلك المكان الرهيب ؟

تنهّد قائد الطوّافة ، وهزّ رأسه ، قبل أن يقول :

ــ ولكن لماذا يبذل إمبراطورنا كل هذا الجهد ؛ لإقامة جحيم صناعى هنا ، على هذا الكوكب ؟.. من المؤكّد أننا لم نحتلّ الكوكب من أجل هذا .. أليس كذلك ؟

تمتم زميله :

ــ بالتأكيد .

ثم أضاف فى اهتمام :

ــ ألم تنتبه أيضًا إلى أنها أوّل مرة يخرج فيها الإمبراطور نفسه ، فى واحدة من حملاتنا الحربية ؟.. بل يستقرّ أيضًا فى الكوكب المحتل ؟

مطّ قائد الطوّافة شفتيه ، وقال :

ــ هذا شأن الإمبراطور .

أومأ زميله برأسه ، مؤكّدًا :

ــ نعم .. هذا شأن الإمبراطور .

ثم ضغط مكعبًا صغيرًا ، وهو يستطرد :

ــ دعنا نتصل بالجحيم ؛ ليستعدّوا لاستقبالنا .

راح يضغط المكعب عدة مرات ، ورأى بوّابة الجحيم تنفتح فى هدوء ، فقال :

ــ هيا .. فلنهبط بحملنا الجديد .

هبطت الطوّافة وسط الجحيم فى بطء ، وقال قائدها ، وهو يغادرها ، ملقيًا نظرة على آلاف الأسرى ، الذين يعملون فى صمت :

— نفس المشهد في كل مرة .. الجميع يعملـــون بلا انقطاع .

تلفت زميله حوله ، وهو يقول في حيرة :

— ولكن أين رجالنا ؟

انتبه الأوّل إلى خلو المكان من رجال الحراسة ، فعقد حاجبيه وهو يقول في قلق :

— هذا صحيح .. أين رجالنا ؟

بحثا بعيونهما عن رفاقهما في المكان ، ثم لم يلبث زميل القائد أن انتزع بندقيته من حزامه ، وهو يقول في توتر شديد :

— هناك أمر يثير القلق هنا .. ربّما كان ..

بتر عبارته بغتة ..

أو هو — على وجه الدقة — ابتلعها ، مع شهقة رعب ، وانتفاضة فزع ، عندما التفت كل الأسرى إليه في آن واحد ، وعيونهم تتعلق بالغضب والثورة ..

وصرخ قائد الطوّافة :

— إنها ثورة .. إنهم ..

لم يبتر عبارته هذه المرة ، وإنما تحوّلت كلماته إلى هشيم تذروه الرياح ، وسط صرخة واحدة ، أطلقها كل الأسرى في آن واحد ..

ثم كان الهجوم ..

الآن فقط بدأت رحلة الحرية ..

وبدأت النهاية ..

* * *

لهثت (نشوى) من فرط التعب والإرهاق ، وهي تلقي جسدها فوق أريكة بدائية ، عند محطة قطار مهجورة ، وهتفت في حنق :

— يا للسخافة !.. نحيا في القرن الحادي والعشرين ، ولا نجد وسيلة للسفر إلى (الإسكندرية) ، سوى عربة متهالكة ، تجرّها الجياد !

جلست (سلوى) إلى جوارها ، وهي تقول في إرهاق مماثل :

— إنهم هؤلاء المحتلون الأوغاد ، الذين سحقوا كل لمحة من لمحات الحضارة على كوكبنا ، حتى السيارات الصاروخية ، وناقلات (الهوفركرافت)(*) العامة .

(*) الهوفر كرافت : مركبة حديثة ، لها القدرة على السير فوق وسادة هوائية ، مما يمنحها سلاسة الانتقال فوق البر ، والمسطحات المائية ، ويطلق عليها في العربية اسم (الجو برمائيات) ، ولقد بدأ استخدامها كناقلات عامة ، في مدن الملاهي ، وبعض الشواطئ الأمريكية ، منذ السبعينات .

كرّرت (نشوى) فى سُخط :

ـ يا للسخافة !

ساد الصمت بينها وبين أمها لحظات ، ثم قالت (سلوى) :

ـ أعلم أننا متعبان بحق ، ولكن لابد لنا من مواصلة السير ، والبحث عن وسيلة انتقال أخرى ، حتى يمكننا بلوغ منطقة (أبى قير) قبل مغيب الشمس ، وإلا فسنضطر للانتظار حتى الغد ، لنعثر على مركبة (بودون) ، حيث وضع سلاحه السرى ، الذى قال عنه إنه أمل الأرض الأخير .

تمتمت (نشوى) فى تهالك :

ـ هذا صحيح ، فسيبدأ حظر التجوال بعد أقل من ساعة ، وعندئذ ستنطلق عيون الحراسة اللعينة .

ثم تحاملت على نفسها ، ونهضت مستطردة :

ـ هيا يا أمى .. يبدو أننا لن ننعم بالراحة ، إلا بعد أن يرحل آخر محتلّ عن كوكبنا .

نهضت (سلوى) بدورها ..

واستمرّت الرحلة ..

* * *

ظلّ الإمبراطور (آغرو) يتطلع إلى وجه (كوماد) لحظات طويلة فى صمت ، وعيناه تلتهبان فى شدة ، كما لو كانتا صورة منمنمة للجحيم ، قبل أن يقول فى صرامة وعمق :

ـ ماذا تعنى بأن أمر (نور) قد انتهى ؟

استجمع (كوماد) شتات شجاعته ، وقال فى حزم :

ـ لقد لقى مصرعه

انتظر تعليقًا من الإمبراطور ، إلا أن هذا الأخير ظلّ صامتًا ، يتطلّع إليه بنظرة نارية ، فاستطرد (كوماد) :

ـ طاردته بعض مقاتلاتنا ، وأصابت مقاتلته ، فهوت به إلى أعماق المحيط الأطلنطى .

بقى الإمبراطور صامتًا ، يتطلّع إلى (كوماد) بعينين التهب فيهما الغضب وامتزج بعامل غامض مجهول ، فى حين شعر (كوماد) أنه لم يعد لديه ما يقول ، فأطبق شفتيه ، بعد عبارته الأخيرة ، ولاذ بصمت تام ، وراح يستعيد كل شجاعته وبأسه ، حتى نطق الإمبراطور أخيرًا ، وقال :

ـ هكذا ؟!..

بدت الكلمة مقتضبة للغاية ، بالنسبة لـ (كوماد) إلا أنه لم ينبس ببنتِ شفة ، حتى نهض الإمبراطور عن عرشه ، وهبط منه ، وضمّ كفيه خلف ظهره ، وأضاف فى حزم :

— هل تعلم ما الذى فعله رجال المقاومة الأرضية هذه المرة يا (كوماد) ؟

أجابه (كوماد) فى برود :

— إننى أفضّل أن يخبرنى الإمبراطور مباشرة بما لديه .

لوّح الإمبراطور بذراعه فى حدّة ، قائلاً :

— حسنًا يا (كوماد) .. حسنًا يا قائد الجيوش الصنديد ، الذى لا يشق له غبار .. سأخبرك بما لدى .. لقد حقّق رجال المقاومة أعظم انتصاراتهم على الإطلاق ، أمام عينيك ، وتحت أنفك .. لقد نجحوا فى دخول واحدة من قبابنا الوردية ، واستولوا على عدد من مقاتلاتنا ، واستخدموها لتدمير (الرعب الفضائى) .

ثم صرخ مستطردًا فى غضب هائل :

— ونجحوا فى تدميره .

شعر (كوماد) بالضيق ، والإمبراطور يعلن له هزيمته على هذا النحو ، فتمتم فى توتر بالغ :

— إنهم لم يربحوا الحرب بعد .

هتف به الإمبراطور :

— وهل ستنتظر حتى يربحوها ؟

قال (كوماد) فى حدة :

— ما شأن هذا بما أحمله لك ؟

صاح به الإمبراطور فى غضب :

— شأن كبير يا قائد الجيوش .. شأن يعنى أن كل ما تحمله لى من أخبار يفوح برائحة الكذب .

اتسعت عينا (كوماد) فى دهشة ، وهو يقول :

— الكذب ؟!

هتف الإمبراطور :

— نعم يا (كوماد) .. رائحة الكذب .. إنك لم تنجح بعد فى القضاء على الرائد (نور) ، ولكنك لا تتورّع عن إعلان مصرعه .

انعقد حاجبا (كوماد) ، وهو يقول فى حدة :

— بل قضينا عليه يا مولاى .

لوّح الإمبراطور بذراعيه ، وصاح :

— لا .. لم يمت (نور) بعد .

صاح (كوماد) بدوره :

— كيف يمكنك أن تجزم ؟

اتقدت عينا الإمبراطور بنيران الغضب ، وهو يهتف :

— لم أشعر بموته بعد .

هتف (كوماد) فى دهشة :

ــ لم تشعــر بموتــه بعــد ؟!.. أى قول هذا يا سـ
الإمبراطور ؟.. منذ متى كان الشعور الشخصى هو الحكم
فى انتصارات وهزائم الجيوش ؟..

صاح به (آغرو) فى شراسة :

ــ لا تجادلنى فى هذا .. لن تفهم ما أقصده أبدًا .

قال (كوماد) فى صرامة :

ــ حاول أن تشرح لى .

صرخ الإمبراطور :

ــ قلت لك لن تفهم .

ثم أشار بيده إلى الخارج فى حدة ، مستطردًا :

ــ هيا .. انصرف .. أريد أن أبقى وحدى بعض الوقت

ظهر الغضب على وجه (كوماد) ، وجذب حرملته
الخلف بقبضته فى عنف ، ثم قال فى حدّة :

ــ حسنًا أيها الإمبراطور .. سأنصرف

ثم رفع قبضته أمام وجهه ، هاتفًا :

ــ المجد لـ (جلوريال) .

واندفع يغادر القاعة الإمبراطورية فى حنق ، فى حين بقى
الإمبراطور وحده ، وراحت عيناه تشتعلان أكثر وأكثر ، وهو
يقول :

ــ لم يمت (نور) بعد .. أنا وحدى أعلم هذا ..

وضرب عرشه بقبضته فى قوة ، صارخًا :

ــ لم يمت بعد ..

وبدا وكأن القاعة الإمبراطورية تعكس لهيب نيران ..
نيران الغضب ..

* * *



٤ ـــ السلاح ..

« أخيرًا »

نطقتها (نشوى) فى ارتياح بالغ ، يختلط بنبرة حنق ، فى مزيج عجيب نادر ، لايمكن أن يجتمع ، إلا لمن عانى الأمرّين ، فى سبيل بلوغ هدفه ، وهى تقف أمام ذلك الشاطئ المهجور ، الذى كان يومًا مزارًا عالميًا شهيرًا ، يحمل اسم (أبى قير) ، وتطلّعت أمها إلى غروب الشمس فى قلق ، وهى تغمغم :

ــ لم يحن أوان نطق هذه الكلمة بعد يا (نشوى) .

سألتها فى ضيق :

ــ ومتى يحين ؟

أجابتها حازمة :

ــ عندما نعثر على مركبة (بودون) ..

ثم تلفّتت حولها بعين فاحصة ، وهى تستطرد :

ــ لقد أخبرنى يومًا أنها مزوّدة بجهاز أمان خاص ، يخفيها عن الأعين ، ويعمل على انتقالها من مكان إلى آخر ، على نحو

مستمر ؛ لضمان عدم وقوعها فى أيدى الأعداء ، ولكنه منحنى وسيلة خاصة ، تسمح لى بالعثور عليها فى أية لحظة .

وفى حذر وحرص ، أخرجت من جيبها كرة صغيرة متألقة ، همست لها فى رفق :

ــ اذهبى .

ارتفعت الكرة عن راحة يدها فى بطء ونعومة ، وراحت تسبح فى الهواء فى رقة مثيرة ، جعلت (نشوى) تهمس فى انبهار :

ــ يا للرّوعة !

ثم تحرّكت الكرة فى هدوء ، متجهة نحو منطقة عالية الأعشاب ، فقالت (سلوى) :

ــ فلنتبعها .. إنها ستقودنا إلى مركبة (بودون) .

أسرعا الخطا خلف الكرة ، التى تسبح فى الهواء فى نعومة بالغة ، وهى تدور حول نفسها ، وتلقى بريقها ، وانعكاسات الشمس الأخيرة ، عنها فى مشهد مبهر أخاذ ، حتى وهى تخترق منطقة العشب ..

ثم توقّفت الكرة ، وراح بريقها يتضاعف ويتزايد ، حتى بدت أشبه بشمس صغيرة ، تنافس شمس الأرض الغاربة ، مما جعل (سلوى) تشير إلى ابنتها بالتوقّف ، وتقول فى قلق :

— أظن أنه من الضرورى أن نتوقف هنا .

هتفت (نشوى) مبهورة :

— انظرى يا أمى .. انظرى .

لم تنبس (سلوى) ببنتِ شفة ، وهى تتطلع إلى حيث تشير ابنتها ، ولكن قلبها راح ينبض فى عنف ، من شدة الإثارة والانفعال ، وهى تشاهد كرة لامعة ، تبدو وكأنها تنشأ من العدم ، حول الكرة المتألقة ..

كرة ضخمة ، فى حجم فيل صغير ..

كانت مركبة (بودون) ..

وقبل مضى دقيقة واحدة ، كانت المركبة الأرغورانية تقف راسخة وسط الأعشاب ، وبلا أدنى صوت ، انفتح بابها ، وتلاشت داخلها الكرة المتألقة ..

مضت لحظات من الصمت والانبهار ، قبل أن تقول (سلوى) بأنفاس متقطّعة :

— ها هى ذى .

اتجهت مع ابنتها فى حذر إلى المركبة ، وولجتاها فى صمت ، وراحتا تديران عيونهما فيها فى حيرة ، قبل أن تغمغم (نشوى) :

— كيف سيمكننا تعرّف السلاح المنشود ؟

خيّل إليها أن المركبة قد سمعت سؤالها ، فقد أضيئت شاشة زرقاء فجأة ، وتراصت فوقها كلمات باللغة العربية ، تقول :

— مرحبًا بك يا (نور) .. أو يا من أرسلك (نور) ، فهذه المركبة مجهّزة بحيث لا تستقبل سوى من يحمل كرة الاتصال ، التى سأعطيها بنفسى إلى (نور) ، أو تنسف نفسها بنفسها .

تمتمت (نشوى) :

— يا لـ (بودون) هذا !.. لقد أعدّ لكل شىء عدّته .

ارتفع من خلفها صوت بارد خشن يقول :

— ليس كل شىء .

التفتت (سلوى) و (نشوى) إلى مصدر الصوت فى حركة حادة ، وتراجعتا فى عنف ، فهناك ، عند باب المركبة المفتوح ، كان يقف واحد من جنود (جلوريال) ، وبندقيته مشهورة فى يده ، ومصوّبة إلى صدريهما ، وعيناه تحملان هدفًا واحدًا ، واضحًا ، دون أدنى شك ..

قتلهما ..

* * *



واخترق خيط الأشعة جمجمة المحتل ، الذى اتسعت عيناه فى ذهول ..

تتفق (سلوى) مع (نور) كثيرًا ، فى بغض كليهما للقتل والدمار ..

إلا عند الضرورة القصوى ..

وفى رأى (سلوى) ، كان هذا الموقف ضرورة قصوى ..

أو أنها حتى لم تمنح نفسها الوقت للتفكير ..

لقد رأت أمامها رجلًا يهدد حياتها وحياة ابنتها ..

بل جنديًا من جنود العدوّ ..

وبسرعة اكتسبتها من العمل فى فريق (نور) ..

وبمهارة ضاعفتها المعايشة الدائمة للخطر ، انتزعت (سلوى) من حزامها مسدس (نور) الليزرى ، الذى تحتفظ به ، وأطلقت منه خيطًا من الأشعة نحو الجندى الجلوريالى ..

واخترق خيط الأشعة جمجمة المحتل ، الذى اتسعت عيناه فى ذهول ، ودار حول نفسه نصف دورة ، ثم سقط جثة هامدة ..

وهتفت (نشوى) :

ــ أمى .. لقد قتلته .. قتلته بضربة واحدة .. إنك ..

قاطعتها (سلوى) فى توتر :

— كفى يا (نشوى) .. لم يكن والدك ليفخر أبدًا بقتل مخلوق حي ، مهما بدا هذا العمل بطوليًا ، فى أعين الآخرين .

تمتمت (نشوى) :

— ولكنك أنقذت حياتنا يا أمى .

أشاحت (سلوى) بوجهها ، وقالت فى حزم :

— كفى يا (نشوى) .

أدركت (نشوى) حقيقة مشاعر أمها ، فقالت فى خفوت :

— حسنًا يا أمى .. حسنًا .

ثم اتجهت إلى الشاشة الزرقاء ، مستطردة :

— دعينا نرى أولًا تلك الرسالة ، التى تركها لنا (بودون) .

كانت الكلمات العربية تتراص على الشاشة فى سرعة ، شارحة طبيعة السلاح السرى ، الذى زوَّد (بودون) به مركبته ، و (سلوى) و (نشوى) تتابعان الكلمات فى اهتمام بالغ ، حتى هتفت (نشوى) :

— يا إلهى !.. هذا رهيب !

وشحب وجهها فى شدة ، وهى تستطرد :

— إن هذا السلاح أكثر عنفًا من الاحتلال نفسه يا أماه .. إنه الدمار .. الدمار الشامل ..

لم تجب (سلوى) ..

لم يكن باستطاعتها أن تفعل ..

كان هناك رعب هائل يملأ كيانها ، وهى تتطلع إلى الشاشة الزرقاء ..

رعب بلغ أعمق أعماقها ..

وبدا لها السلاح ، الذى سعت مع ابنتها إليه رهيبًا .. رهيبًا بحق ..

* * *

غادر (كوماد) القاعة الإمبراطورية ، وهو يتميَّز غضبًا وغيظًا ، ويتمتم فى سخط :

— أى إمبراطور هذا ؟.. بل أى وغد إمبراطورى هو ؟

اتجه إلى حجرته الخاصة ، فى سفينة القيادة ، وراح يقطعها جيئة وذهابًا كليث غاضب ، وهو يزفر وينفخ فى حنق وسخط ، ثم لم يلبث أن ألقى جسده فوق مقعد هوائى خاص ، وهو يقول لنفسه فى حدَّة :

— ليس هذا هو إمبراطورنا الذى نعرفه !.. ماذا أصابه ؟.. أهو مسٌّ من الجنون ، أم نوبة حماقة حادة ؟!

ظلّ السؤال يتردّد في ذهنه طويلاً ، بعد أن أنهى عبارته ، واختلط بسيل من ذكريات قديمة ..

لقد كان يحترم الإمبراطور كثيرًا ، ويعتزّ بمنصبه هذا كقائد جيوشه ..

حتى حملة (أرغوران) ..

مازال يذكر كيف كان الإمبراطور صنديدًا مقاتلاً ، وكيف أثار إعجابه واحترامه ، حتى سقطت كل القوى على كوكب (أرغوران) ..

وبعدها تبدّل الإمبراطور كثيرًا ..

تبدّل حتى بدا وكأنه شخص آخر ..

ولكن لِمَ لا ؟..

لِمَ لا يكون هذا الجالس على عرش الإمبراطورية شخصًا آخر ؟..

أثارته الفكرة في شدّة ، فعاد ينهض ، ويقطع حجرته مرة أخرى ، في توتر أكثر ، وذهنه يسترجع العديد من المشاهد ، التي لم ترُق له ، منذ حملة (أرغوران) ..

أسلوب الإمبراطور ..

التحية الجديدة ..

عصبية الإمبراطور الشديدة ، حيال كل ما يتعلق بالأرض (نور) ..

العبارات غير المفهومة ..

شعر برأسه ينتفخ ، من كثرة التفكير في هذا الأمر ، فتمتم :

ـــ إنه أمر مثير بالفعل ، ويحتاج إلى جلسة طويلة مع عقل مفكّر .

صمت لحظة في شرود ، ثم أضاف :

ـــ مع (جلاكس) .

لم يكد يبلغ هذا الحد من التفكير ، حتى أسرع يغادر حجرته ، واندفع نحو حارس القاعة الإمبراطورية ، يسأله :

ـــ أين الحكيم (جلاكس) ؟

اعتدل الحارس بوقفة عسكرية عنيفة ، وهو يقول :

ـــ لقد لقى مصرعه أيها القائد .

اتسعت عينا (كوماد) في دهشة ، وتفجّر صوته ، وهو يهتف مستنكرًا :

ـــ لقى ماذا ؟

أسرع الحارس يقول :

— لقـى مصرعه أيها القائـد .. هكـــذا قال سمو الإمبراطور .. لقد أصيب بنوبة قلبية ، فى حضرة الإمبراطور ، ومات على الفور .

تراجع (كوماد) فى حركة حادة ، وهو يقول :

— نوبة قلبية ؟!

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستطرد فى حسم :

— هل أخبرك الإمبراطور نفسه هذا ؟

أومأ الحارس برأسه إيجابًا ، وقال :

— نعم أيها القائد .. الإمبراطور نفسه أخبرنى هذا .

ران الصمت لحظات ، و (كومـــاد) يحدّق فى وجه الحارس بنظرة غامضة ، تموج بالتوتر ، قبل أن يعتدل ، ويقول :

— هكذا ؟

ثم استدار عائدًا إلى حجرته ، دون أن يزيد حرفًا واحدًا ، ولم يكد يغلق باب حجرته خلفه ، حتى أمسك بمقبض بندقيته فى عنف ، وهو يقول :

— الآن اتضحت الصورة .. إنه ليس الإمبراطور حتمًا .

واستل بندقيته ، مكرّرًا فى غضب :

— ليس هو .

وبدأت مرحلة صراع جديدة ..

* * *

لم تعد أعصاب (مشيرة محفوظ) تحتمل كل هذا التوتر ..

لقد تركها الجميع وحدها ، منذ رحلت (سلوى) و (نشوى) ..

خلا المخبأ السرى من الجميع ، إلا منها ، ومن والدى (نور) ..

وهى لم تعتد هذا النوع من الحياة ..

أكثر ما كان يثير أعصابها ، هو جهلها بما يحدث خارج المخبأ ..

صحيح أن شاشات الرصد تنقل معظم ما يدور بالخارج ، ولكنها كإعلامية قديمة ، تدرك جيّدًا أن الأخبار الحقيقية ليست هى ما تنقله الشاشات ..

الأخبار الحقيقية هناك ..

خلف كل الشاشات ..

إنها تجهل ما أصاب (نور) ..

ولماذا رحلت (سلوى) مع (نشوى) ؟..
وأين (رمزى) ؟..
وجهل الأمور يورثها دائمًا التوتر والعصبيَّة ..
وبينما هي في لجة أفكارها ، اقتربت منها أم (نور) ، وسألتها في قلق :
ـــ أما من أخبار عن ولدى ؟
تنهدت (مشيرة) في توتر ، وأجابت :
ـــ ما من أخبار عن أى شخص .
سألتها أم (نور) ، وهى تشير إلى شاشات الرصد :
ـــ وماذا عن هذه الشاشات ؟.. ألا تنقل إلينا شيئًا عن أخباره ؟
أجابتها (مشيرة) في حنق :
ـــ هذه الشاشات تنقل فقط ما يدور على السطح .
ثم هبّت من مقعدها في حركة حادّة ، أفزعت أم (نور) ، وهى تضيف :
ـــ وهذا لا يكفى .
اتجهت في عصبية واضحة ، نحو ممر الخروج ، فهتفت بها أم (نور) في قلق :
ـــ إلى أين ؟

أجابتها (مشيرة) :
ـــ لم أعد أحتمل البقاء هنا .. سأسعى بنفسى للحصول على الأخبار .
ارتفع حاجبا أم (نور) في دهشة ، وقالت :
ـــ ولكن الأوامر تقتضى ..
قاطعتها (مشيرة) :
ـــ دعك من الأوامر الآن يا سيّدتى .
برز والد (نور) من باب جانبى ، وهو يقول في صرامة :
ـــ حتى لو تجاهلت الأوامر يا بنيّتى ، فلن يكون بوسعك الخروج الآن ، فلقد بدأت فترة حظر التجوال منذ دقائق .
أجابته في عناد :
ـــ سأخاطر .
نطقتها وهى تضغط زر باب الخروج السرى ، فانفتح الباب أمامها في صمت ، وعبرته هي في سرعة ، إلى مدخل صغير لبيت مهدّم ، يخفى المدخل السرى الحقيقى ، ولم يكد الباب يُغلق خلفها ، حتى اندفعت خارج المكان ، وهى تقول في حدّة :
ـــ أخيرًا .

تسمّرت فجأة فى مكانها ، وتجمّدت عيناها عند واحدة من عيون الحراسة القاتلة ، التى رصدت ظهورها ، فاتجهت إليها سابحة فى الهواء ، وارتفع منها صوت صارم حازم خشن ، يقول بنبرة معدنية آلية :

ــ لقد خالفت القانون أيتها الأرضيّة ، والموت هو جزاؤك الوحيد ..

ومن منتصف العين القاتلة ، برز مدفع الأشعة ..

والتصقت (مشيرة) بجدار البيت القديم ..

واتسعت عيناها فى رعب ..

وشقّ خيط من الأشعة الأرجوانية الساحقة هواء المكان ..

وأصاب هدفه ..

* * *



٥ ــ مواجهــة ..

استمع الإمبراطور (آغرو) إلى حارس قاعته الإمبراطورية فى اهتمام ، ثم اعتدل على عرشه ، وقال :

ــ إذن فقد سألك عما إذا كنت أنا الذى أخبرك بمصرع الحكيم (جلاكس) .. لماذا فعل فى رأيك ؟

هزّ الحارس كتفيه ، وقال :

ــ لست أدرى يا سمو الإمبراطور ، ولكن يلوح لى أن أسلوب موت الحكيم (جلاكس) لم يرق له .

سأله الإمبراطور :

ــ لماذا ؟

مطّ الحارس شفتيه ، وقال :

ــ ربّما لأن (جلاكس) كان من سلالة معمّرة .

هزّ الإمبراطور رأسه ، وقال :

ــ لا .. ليس هذا هو السبب حتمًا .

صمت طويلًا ، وهو يدرس الأمر ، ثم لم يلبث أن غمغم :

ــ لم يعُد هناك مجال للانتظار ..

ثم التفت إلى حارسه الخاص ، مستطردًا :

ــ اسمع يا (راندو) .. اسمعني جيدًا .. إنني لم أعد أثق كثيرًا بقائد جيوشي ، وأي إمبراطور في الكون كله يحتاج إلى قائد جيوش يبادله الثقة .

سأله (راندو) في خبث :

ــ وماذا يقترح مولاي ؟

تطلع إليه الإمبراطور في صمت لحظات ، ثم لوّح بكفه ، وقال :

ــ أخبرني أنت يا (راندو) ، ما الذي ينبغي أن يفعله أي إمبراطور ، يفقد ثقته بقائد جيوشه .

انحنى (راندو) أمامه ، وهو يقول :

ــ يعزله يا مولاي .

ابتسم الإمبراطور ، وهو يقول :

ــ وهل يكفي هذا ؟

تبادلا نظرة تشف عن خبثهما وشراستهما ، قبل أن يقول (راندو) :

ــ فليأمر مولاي بما يريد ، ولن يسعني سوى التنفيذ .

علم (آغرو) أن حارسه الخاص قد أدرك مقصده ، فنهض عن عرشه ، ورفع قبضته أمام وجهه ، وقال في حزم :

ــ اقتله يا (راندو) .. اقتله تصبح أنت قائد الجيوش الإمبراطورية .

تألقت عينا (راندو) في ظفر ، وقال :

ــ كما يأمر مولاي .

وانتزع بندقيته من حزامه ، وانحنى أمام إمبراطوره ، ثم اتجه في حزم نحو حجرة (كوماد) ، وقد صار له هدف واحد .. القتل ..

* * *

كانت (مشيرة) تتوقع الموت حتمًا ، عندما حاصرتها العين القاتلة ، ولقد انتفض جسدها في عنف ، عندما انطلق الشعاع الأرجواني ، وأغلقت عينيها في شدة ، وهي تصرخ :

ــ لا ..

وسمعت صوت انفجار مكتوم ..

انفجار حدث على بعد متر واحد منها ..

وعندما فتحت عينيها ، واجهتها مفاجأة ..

كان الشعاع الأرجواني ينطلق نحو عين الحراسة ، لا منها ..

ولقد سحق العين القاتلة سحقًا ..

وبكل دهشتها وحيرتها ، التفتت (مشيرة) إلى حيث انطلق الشعاع ، وهتفت فى ذهول :

ــ أنت ؟!

اندفع (رمزى) إليها ، وهو يحمل بندقية الأشعة الأرجوانية ، التى انتزعها من أحد حرّاس الجحيم الأرضى ، وأمسك ذراعها ، ودفعها نحو النفق السرى مرة أخرى ، وهو يقول :

ــ مجنونة أنت كعهدى بك يا (مشيرة) .. كلنا نبذل أقصى جهدنا ، لنبلغ مكانًا آمنًا ، قبل أن تنطلق عيون الحراسة ، وأنت تغادرين المكان الآمن إلى حيث العيون القاتلة .

هتفت به :

ــ دعك من هذا ، وأخبرنى أوّلا أين كنت ؟ وكيف عدت ؟

أجابها وهو يضغط زر الباب السرى :

ــ إنها قصة طويلة يا (مشيرة) ، تحتاج إلى مكان آمن لروايتها .

انفتح باب النفق السرى فى صمت ، فدفعها داخل

المكان ، وضغط زر إغلاق الباب ، وهو يعبر خلفها ، ثم تنهّد هاتفًا :

ــ أخيرًا .

اندفع والد (نور) نحوه ، وهتف الأب :

ــ (رمزى) ؟!.. حمدًا لله على سلامتك يا ولدى .. أين (نور) ؟

أجابه فى هدوء :

ــ صدقنى يا سيّدى ، أنا نفسى أحتاج إلى إلقاء مثل هذا السؤال .

وقبل أن يلقى عليه أحدهم سؤالا آخر ، راح يروى لهم ما حدث فى الجحيم الأرضى ، وهم يستمعون إليه فى دهشة واهتمام ، حتى انتهى من روايته ، فسألته (مشيرة) مبهورة :

ــ وماذا فعلتم ، بعد أن استخدمتم الطوّافة فى إخراج كل الأسرى من الجحيم ، وإعادتهم إلى هنا ؟

أجابها فى حماس :

ــ قررنا أن نضرب فى سرعة ، قبل أن يدرك المحتلون ما فعلناه ، ويبدءوا فى اتخاذ أهبتهم لصد هجومنا .

سألته فى لهفة :

ــ وماذا ستفعلون ؟

أجاب :

ـــ الكل يتخذ موقعه الآن ، ونحن نحاصر المدينة كلها تقريبًا ، أما الدكتور (حجازى) والدكتور (عبد المنعم) ، فقد اتجها ، على رأس فريق من الرجال ، إلى الصحراء الغربية ، حيث سفينة القيادة الإمبراطورية .. سنشنّ هجومًا شاملا ، مع مشرق الشمس .

ثم تلفت حوله ، وسألها فى اهتمام :

ـــ ولكن أين (سلوى) و (نشوى) ؟.. وأين (محمود) ؟

أجابته :

لقد خرجت (سلوى) و (نشوى) لمهمة ما ، لم تعلنا عنها ، أما (محمود) فهو تحت رعاية طبية خاصة ، فى نفق سرى آخر ، و ....

قطع عبارتها أزيز قوى عنيف ، ، انطلق من جهاز إنذار خاص ، فأدار الجميع عيونهم إلى شاشات الرصد ، وانقبض قلب والدة (نور) ، وهى تقول :

ـــ يا إلهى !.. لقد كشف المحتلون أمر النفق السرى .

كانت الشاشة تنقل صورة لفريق من جنود (جلوربال) ،

وهم يفحصون عين الحراسة المسحقة ، ثم يتجهون مباشرة نحو النفق السرى ..

وقال (رمزى) فى قلق :

ـــ ربما لن يكشفوا أمره ، أو ....

لم يتمّ عبارته ؛ لأن ما يراه على الشاشة كان أبلغ من أى كلام ..

كان قائد فريق الجلورباليين يصوّب بندقية الأشعة الأرجوانية نحو مدخل النفق ..

ويُطلقها ..

* * *

ران صمت رهيب داخل مركبة (بودون) ، و (سلوى) و (نشوى) يتطلع بعضهما إلى البعض ، قبل أن تقول (سلوى) فى خفوت وتردُّد ، زادا من رهبة الموقف :

ـــ هل تظنين أنه يمكننا استخدام هذا السلاح ؟

مضت دقيقة كاملة من الصمت ، قبل أن تقول (نشوى) :

ـــ نعم .

ارتفع حاجبا (سلوى) فى دهشة ، فأسرعت (نشوى) تضيف :

ـــ كوسيلة انتحارية أخيرة .

حدّقت (سلوى) فى ابنتها مستنكرة ، ثم هتفت :

ـــ أتعلمين ما الذى سيفعله هذا السلاح ؟

أشاحت (نشوى) بوجهها فى مرارة ، وهى تقول :

ـــ بالتأكيد .. لقد قرأت التعليمات على الشاشة الزرقاء مثلك .. إن هذا السلاح يمتصّ الطاقة .. كل أنواع الطاقة بلا تمييز .. واستخدامه يعنى أن نمتصّ حيوية كل مخلوق حى على وجه الأرض .. أو بمعنى أدق ، يعنى فناء الأرض كلها ، بكل سكانها ، وكل المحتلين على السواء .

هتفت (سلوى) :

ـــ وهل يمكنك استخدام مثل هذا السلاح ؟

أدارت (نشوى) وجهها إليها ، وهتفت :

ـــ نعم .. يمكننى هذا .

وهبّت من مقعدها فى حركة حادة ، وهى تستطرد :

ـــ لو شعرت أنه ما من أمل فى تحرير الأرض ، فسأفعلها بلا تردد .. على الأقل حتى أفنى هؤلاء المحتلين القساة ، وأنقذ

سكان الكواكب الأخرى منهم .. أتصوّرين أن الأرض هى محطتهم الأخيرة ؟.. لا يا أماه ..

من المؤكّد أنها ليست كذلك .. إنهم سيسعون حتمًا لاحتلال كوكب آخر ، وآخر ، وآخر .. إن هدفهم هو احتلال الكون كله .

قالت (سلوى) :

ـــ ولكن الأمل لا ينقطع أبدًا ، وما من مخلوق يمتلك الحق فى إصدار قرار إفناء الجميع .

قالت (نشوى) فى صرامة :

ـــ من يدرى ؟

ران عليهما الصمت لحظات ، ثم تنهّدت (سلوى) ، وغمغمت :

ـــ نعم .. من يدرى ؟

وفى أعماقها نما شعور بالخوف ..

بل بالرعب ..

رعب هائل ..

* * *

لم يتوقّف (كوماد) عن قطع حجرته جيئة وذهابًا فى توتّر

بالغ ، منذ عاد إليها ، بعد حديثه مع حارس القاعة الإمبراطورية ..

الآن صارت مخاوفه حقائق ..

هذا الجالس على عرش (جلوريال) ليس الإمبراطور ..

إنه شخص آخر مجهول ..

شخص يجهل الكثير عن تاريخ (جلوريال) ..

وعن طبيعة مخلوقاته ..

لم يعد لديه شك فى هذا ..

لقد دفع (جلاكس) حياته ، ثمنًا لهذا ..

من المحتّم أنه قد كشف سر ذلك المحتال ، الجالس على العرش ، مما دفع هذا الأخير إلى التخلّص منه ، وقتله ..

هذا ما حدث حتمًا ..

ولابد له من أن يزيح هذا المحتال ..

لابد له من أن يقاتل ، من أجل (جلوريال) ..

وفى حزم ، استلّ (كوماد) بندقيته ، ورفعها أمام وجهه ، قائلا فى لهجة حاسمة حازمة صارمة :

— من أجل (جلوريال) سأفعلها .

وفى حماس أضاف :

— المجد لـ (جلوريال) ..

واتجه فى حدة نحو باب حجرته الخاصة ، وضغط زر فتحه ..

وانفتح الباب ..

وتراجع (كوماد) فى حركة حادة ..

لقد وجد نفسه وجهًا لوجه أمام (راندو) ، الحارس الخاص للإمبراطور ..

وكان هذا الأخير يصوّب إليه بندقيته بدوره ..

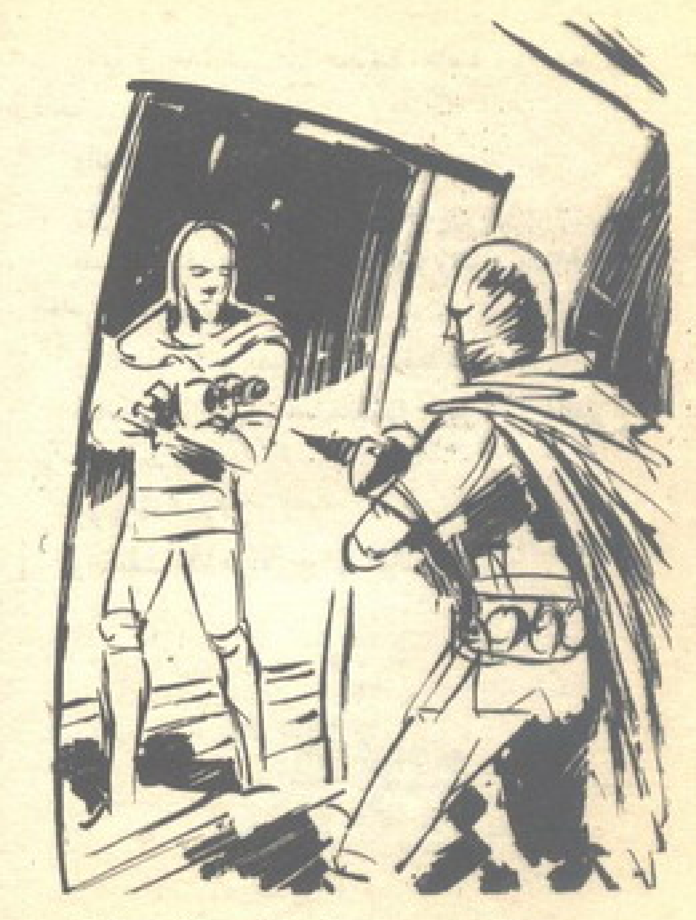
وكان من الواضح أنها عملية تصفية ، وعلى أحدهما أن يزيح الآخر عن طريقه ..

ولم يتردّد أحدهما ..

وانطلقت الأشعة الأرجوانية القاتلة ..

* * *





وكان من الواضح أنها عملية تصفية ، وعلى أحدهما أن يزيح الآخر عن طريقه ..

٦ ـ لكل شيء ثمن ..

ارتجّ باب النفق السرى فى عنف ، عندما أصابته الأشعة الأرجوانية الساحقة ، ولكنه صمد للضربة الأولى ، وإن بدا واضحًا أنه سيركع أمام الثانية ، وينهار مع الثالثة ، فصرخت (مشيرة) :

ـ لقد ظفروا بنا .. سيقتلوننا بلا رحمة .

رفع (رمزى) بندقيته فى حزم ، وهو يقول :

ـ لن يظفروا بنا أحياء .

أمسك والد (نور) بكتفه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ هناك مخرج آخر لهذا النفق .. أليس كذلك ؟

أجابه (رمزى) ، وهو يتساءل عمّا يقصده الرجل بسؤاله :

ـ بلى .. هناك نفق يقود إلى مقر سرى آخر .

ثم استدرك فى حدّة :

ـ ولكن هذا لن يصلح ، فما داموا قد بلغوا هذا المكان ، فسيسيرون عبر الخيط حتى النهاية .

أجابه والد (نور) فى حزم :

ـــ لا .. لن يحدث هذا .

قالها فى نفس اللحظة ، التى أصابت فيها الطلقة الأرجوانية الثانية باب النفق ، فأضاف فى توتر :

ـــ هيا يا ولدى .. خذ (مشيرة) وزوجتى ، وانطلقوا إلى المقر السرى الآخر ، واتركوا لى أمر إعاقة هؤلاء الأوغاد .

حدّق (رمزى) فى وجهه بدهشة ، وقال :

ـــ سيّدى .. الوسيلة الوحيدة لإعاقتهم هى ..

قاطعه فى صرامة :

ـــ أعلم .. هيا اذهبوا بسرعة ، قبل فوات الأوان .

هتف (رمزى) :

ـــ مستحيل يا سيّدى .. لن يسامحنى (نور) أبدا لو ...

صاح به الرجل :

ـــ أخبره عندئذ أن والده قد رفض أن تنتهى حياته الحافلة بالكفاح ، كما تنتهى حياة أى فأر حقير ، وأنه أصرّ على الموت كبطل .. هيا .. لا تناقش الأوامر فى زمن الحرب ، فهذه خيانة عظمى .

أصابت طلقة ثالثة الباب فى هذه اللحظة ، ولكنه لم ينهر ، وإنما تشقّق على نحو ملحوظ ، فصرخ الرجل :

ـــ هيا .

كان من الواضح أن والد (نور) لن يتراجع عن قراره ، وأن ما يقوله يتناسب تماما مع الموقف ؛ لذا فقد أمسك (رمزى) يد (مشيرة) ، وقال فى حزم :

ـــ هيا بنا .

انطلقا يعدوان نحو المخرج الثانى ، فى حين صاح والد (نور) فى وجه زوجته :

ـــ ماذا تنتظرين ؟.. الحقى بهم .

أمسكت ذراعه فى حنان ، وهى تقول :

ـــ لا يا زوجى العزيز .. لقد سمعت مثلك ولدنا (نور) ، وهو يتحدث عن ذلك الزر الخاص ، المعدّ للطوارئ القصوى .

ثم أسندت رأسها إلى كتفه ، وهى تستطرد :

ـــ لقد عشنا حياتنا كلها معا ، ولن تروق لى الحياة دونك ..

ابتسم لها فى حنان ، وبادلته الابتسام ، على الرغم من انهيار باب النفق ، أمام الضربة الرابعة ..

وعندما اندفع الغزاة وعيونهم القاتلة داخل النفق ، أدهشهم أن وجدوا رجلا وامرأة يجلسان هادئين ، إلى جوار أجهزة التحكّم الآلية ..

وعندما رفع الغزاة فوهات بنادقهم القاتلة فى وجهى الرجل والمرأة ، تضاعفت دهشتهم عندما ابتسم الرجل ، وقال :

ـــ مرحبًا ..

ثم ضغط زرًا صغيرًا إلى جواره ..

ودوى الانفجار ..

* * *

جلس الإمبراطور (آغرو) على عرشه صامتًا ، وعقله يسبح بعيدًا ..

كان يسترجع ذكريات بغيضة إلى نفسه ..

ذكريات صراع ..

صراع ذاق فيه هو مرارة الهزيمة ..

صراع دامٍ ..

وفى أعماقه ، راح جبل من الكراهية والبغضاء ينمو وينمو ..

ووسط هذا الجبل الرهيب برزت صورة (نور) ..

الرائد (نور الدين محمود) ..

وبلغة مخيفة ، لاتشبه لغة الأرض أو لغة (جلوريال) نفسه ، أخذ الإمبراطور يقول :

ـــ إنك لم تمت بعد يا (نور) .. أعلم أن هذا لم يحدث .. قد تكون مقاتلتك فى قرار المحيط الآن ، ولكنك لم تمت .. أنا أعلم هذا .. أشعر به .. و .....

قطع حديثه مع نفسه دوى مكتوم ، عندما انفتح باب القاعة الإمبراطورية فى عنف ، جعل الإمبراطور يرفع عينيه إلى الباب ، هاتفًا فى غضب :

ـــ كيف تجرؤ ؟

بتر عبارته بغتة ، عندما وقع بصره على ذلك الشخص ، الذى فتح الباب هكذا ..

كان (كوماد) ..

وانعقد حاجبا الإمبراطور فى شدّة ، فى حين تقدّم منه (كوماد) فى خطوات واثقة قويّة ، وهو يقول فى لهجة ساخرة :

ـــ هل أدهشتك رؤيتى على قيد الحياة يا سمو الإمبراطور ؟

تطلّع إليه الإمبراطور فى صرامة وبرود ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها أحد جنود الحرس الإمبراطورى إلى القاعة ، وأسرع إلى الإمبراطور ، هاتفًا فى ارتياع :

— لم تكن تعلم أنه سيقتحم قاعتك على هذا النحو يا مولاى .

قال الإمبراطور فى حزم :

— اصمت .

ثم تطلّع إلى (كوماد) ، وقال :

— لماذا تتصوّر أن رؤيتك ستثير دهشتى يا (كوماد) ؟.. أليس من حق قائد الجيوش أن يلتقى بإمبراطوره فى أية لحظة ، كما تقول كل دساتير (جلوريال) ؟

أطلق (كوماد) ضحكة ساخرة ، وقال :

— رائع يا سمو الإمبراطور .. يبدو أنك تزداد علمًا بقانون (جلوريال) وتاريخه فى كل لحظة .

ثم بتر ضحكته بغتة ، واستحالت ملامحه إلى صورة من صور الغضب ، وهو يستطرد :

— ولكنك أخطأت أيها الإمبراطور .

قال الإمبراطور فى برود :

— أخطأت ؟!

أجابه (كوماد) فى صرامة :

— نعم .. أخطأت يا من تحتلّ العرش الإمبراطورى لـ (جلوريال) .. أخطأت عندما أرسلت لى هذا الـ ...

انتزع فجأة شيئًا من خلف حرملته ، وألقاه نحو الإمبراطور ، مستطردًا :

— هذا الحقير .

لم تكد الكلمة تنتهى ، حتى تدحرج جسم مستدير عند قدمى الإمبراطور ، الذى أحنى رأسه فى حركة حادة ، وتطلّع إلى ذلك الشىء ..

كان رأس (راندو) ..

وفى غضب ، استطرد (كوماد) :

— لقد أرسلته لقتلى ، ولقد أضحكنى هذا كثيرًا ، فلن تبلغ سرعة (راندو) أبدًا ، مهما بلغت ، نصف سرعة مقاتل محترف مثلى .. لقد أطحت به بضربة واحدة .

ثم استطرد فى لهجة أضافت شيئًا من السخرية إلى نبراته الغاضبة :

— وهذا ليس الخطأ الوحيد ، الذى ارتكبته أنت ، فهناك خطأ فاحش ، كشف لى أمرك .

خيّل إليه أن قوله هذا قد جذب انتباه الإمبراطور فى شدة ، عندما سأله هذا الأخير :

— أى خطأ هذا ؟



لم تكـد الكلمة تنتهي ، حتى تدحرج جسم مستدير عند قدمي الإمبراطور ،الذي أحنى رأسـه في حركة حادة ..

أجابه (كوماد) :

ــ وصفك لكيفية موت (جلاكس) .. عندما قلت إنه قد أصيب بنوبة قلبية .

قال الإمبراطور في حذر :

ــ وماذا في هذا ؟.. كل مخلوق يمكن أن يصاب بنوبة قلبية ، و ......

قاطعه (كوماد) في صرامة :

ــ إلا (جلاكس) .. إلا سلالته كلها .

سأله الإمبراطور :

ــ ولماذا هو وسلالته بالذات ؟

أطلق (كوماد) ضحكة عالية ، وقال :

ــ لأن سلالة (جلاكس) كلها بلا قلوب .

انعقد حاجبا الإمبراطور في شدة ، وهو يغمغم :

ــ بلا قلوب ؟!

قال (كوماد) :

ــ نعم .. بلا قلوب .. إنهم من سلالة خاصة ، تنقبض أوردتها وشراينها على نحو منتظم ، وكأن كل وعاء دموى هو قلب خاص ، دون أن يكون لهم قلب مركزى ، وكل إمبراطور

جلس على عرش (جلوريال) يعلم هذه الحقيقة ، التي قد يجهلها أي جندي عادي ، إلا إذا ..

اعتدل في حزم ، وشدّ قامته ، وهو يضيف :

ــ إلا إذا كان الجالس على عرش (جلوريال) إمبراطور مزيّف .

اتسعت عينا جندي الحراسة في ارتياع ، وهو ينقّل بصره بين إمبراطوره وقائده ، في حين راح الاثنان يتطلع كل منهما إلى الآخر في تحدّ واضح ، قبل أن يلتفت الإمبراطور إلى الجندي ، ويقول في صرامة :

ــ لا تقف هنا هكذا كالأبله .. غادر المكان ، وأغلق القاعة الإمبراطورية من الخارج ، ولا تسمح لأحد بالدخول .

انحنى الجندي في خوف ، ثم أسرع يغادر القاعة في خطوات أقرب إلى العدو ، وألقى نظرة فزعة عليها ، قبل أن يُغلقها خلفه في إحكام ، فابتسم (كوماد) في سخرية ، وقال :

ــ هل تنوى الاعتراف أمامي وحدى ؟

ابتسم الإمبراطور بدوره ، واتقدت عيناه بلهيب مخيف ، وهو يقول :

ــ بل أنوى إزاحتك عن الطريق يا قائد الجيوش .

وفي حركة حاذة ، استلّ الإمبراطور من حزامه سيفا مُتألقًا ، وهو يستطرد بنفس اللهجة الساخرة :

ــ على النمط القديم ، الذى يذكره تاريخ (جلوريال) .

ابتسم (كوماد) في ثقة ، واستلّ من حزامه سيفًا مماثلاً ، وهو يقول :

ــ فليكن .. سنتقاتل على طريقة الأجداد .

والتقى سيفاهما ..

* * *

انتفضت (سلوى) في شدّة ، وهبّت من نومها فزعة ، وهي تهتف :

ــ (نشوى) .. أين أنت ؟

أتاها صوت ابنتها تقول في هدوء :

ــ اطمئنى يا أمي .. أنا هنا .

تطلّعت طويلاً إلى ابنتها ، التي جلست تتابع تعليمات تشغيل السلاح السرى ، التي تتابع فوق الشاشة الزرقاء للمرة العشرين ، وتنهّدت في ارتياح ، متمتمة في اضطراب :

ــ حمدًا لله أنك هنا ..

ثم اعتدلت ، وخلّلت شعرها بأصابعها ، ثم تركته ينساب على كتفيها في نعومة ، وغمغمت :

— لست أدرى كيف استغرقت فى النوم ؟

أجابتها (نشوى) فى شرود :

— كنت منهكة للغاية .

قالت (سلوى) :

— هذا صحيح .

ثم عادت تتطلّع إلى ابنتها فى صمت ، وقلبها ما زال يرتجف ، من جراء ذلك الكابوس ، الذى أبى إلا أن يُفسد نومها ، كما فسدت يقظتها ..

كابوس رأت فيه ابنتها (نشوى) ، وهى تغيب وسط ضباب كثيف ، ورأت نفسها تصرخ منادية ابنتها فى هلع ، وابنتها تغوص وسط الضباب ، وهى تقول إنها تحبها ، و......

واستيقظت ..

يا له من كابوس بشع !!..

أرادت أن تنفض عن ذهنها آثار الكابوس ، فسألت ابنتها :

— أما زلت تدرسين تعليمات التشغيل ؟

هزّت (نشوى) كتفيها ، وقالت :

— نعم .. فمن يدرى ؟.. ربما احتاج الأمر لتشغيل هذا الجهاز .

عقدت (سلوى) حاجبيها ، وهى تقول :

— أتمنى ألا يحدث هذا أبدًا .

لم تعلّق (نشوى) على هذا ، وإنما قالت فى اهتمام :

— أتعلمين أنه من الممكن أن تتبعنا هذه المركبة ، أينما ذهبنا ؟

سألتها (سلوى) فى اهتمام :

— وكيف يمكن هذا ؟

التقطت (نشوى) قرصًا صغيرًا ، ووضعته فى راحة يدها ، وقرّبته من وجه أمها ، وهى تقول :

— باستخدام هذا القرص الصغير ، يكفى أن تطلبى منه إحضار المركبة ، أينما كنت ، فتجدينها أمامك .

ابتسمت (سلوى) ابتسامة شاحبة ، وتمتمت :

— إنه أمر أشبه بالسحر .

هزّت (نشوى) رأسها نفيًا فى قوة ، وقالت :

— بل بتكنولوجيا المستقبل .

تنهدت (سلوى) ، وقالت :

— هذا لو أنه هناك مستقبل .

تطلعت إليها (نشوى) فى صمت وارتجف قلبها على الرغم منها ..

ففى أعماقها ..

ومن قلب غريزة الأنثى فى كل عروقها ، .كان هناك شىء ما ، يخبرها أنه ليس هناك مستقبل ..

بالنسبة لها على الأقل ..

* * *



٧ ــ الهجوم ..

أمسك (رمزى) جانبى رأسه براحتيه فى قوة ، وراح يهتف فى مرارة :

ــ لن أسامح نفسى أبدا .. لن أسامح نفسى أبدا .

ربتت (مشيرة) على كتفه فى تعاطف ، وغمغمت فى حنان :

ــ إنك لم تخطئ يا (رمزى) .. لم يكن لديك حل بديل .. إما أن نقضى جميعا ، أو يضحى والد (نور) بحياته من أجلنا .. لا تنس أنه كان سيلقى مصرعه فى الحالتين .

صرخ فى ألم :

ــ ما كان ينبغى أن أتركه وحده .

هتفت :

ــ ولكن هذا هو القرار الصحيح ..

التفت إليها فى غضب ، فأضافت فى سرعة :

ــ لا تنس أن آلاف الأرضيين يعتمدون عليك ، لبدء حرب التحرير ، ومقاومة المحتلين ، مع مشرق شمس الغد .

اعتدل فى حركة حادة ، وكأنما تذكر أمرًا طال نسيانه له ، وواصلت هى :

— لقد أدرك والد (نور) هذا ، وأدرك أنه ليس من العدل أن تخسر حياتك ، فى هذا الوقت بالذات .. إنها حرب يا (رمزى) ، ولكل حرب ضحاياها .

انعقد حاجباه فى حزم ، وهو يقول :

— نعم .. إنها حرب .

ثم احتضن كف (مشيرة) براحتيه فى قوة ، مستطردًا :

— أشكرك يا (مشيرة) .. أشكرك كثيرًا .. على الرغم من أننى الطبيب النفسى المختصّ ، إلا أنك أنت أنقذتنى من الوقوع فى هوة نفسية رهيبة .. أشكرك .

ترقرق الدمع فى عينيها ، وتهدّج صوتها فى فرحة ، وهى تقول :

— كيف تشكرنى يا (رمزى) ؟.. ألا تعلم أننى .. أننى ...

عجزت عن نطق الكلمة ، فسعلت على نحو مفتعل ، ثم قالت :

— لا تنس أنهم يعتمدون عليك يا (رمزى) .

تطلّع إلى عينيها ، وهو يقول :

— بل علينا يا (مشيرة) .. علينا معًا .

غمغمت فى دهشة :

— علينا معًا ؟!.. أتقصد أنت وأنا ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

— نعم يا (مشيرة) .. فى خطة التحرير ، التى وضعها (نور) ، كان لك دور رئيسى بالغ الأهمية .

هتفت فى دهشة أكبر :

— دور رئيسى ؟! ؟!.. لى أنا ؟!

أومأ برأسه مرة أخرى ، ثم ابتسم فى وجهها ، وقال فى حنان :

— نعم يا (مشيرة) .. سأخبرك بدورك .. سأخبرك بكل شىء .

وراح يقصّ عليها ما لديه ..

* * *

اشتد وطيس المبارزة ، بين (كوماد) وإمبراطوره ، دون أن يصدر عن التقاء سيفيهما أدنى صوت ..

لم يكونا سيفين عاديين ..

إنهما حزمتان من الطاقة ..



اشتدّ وطيس المبارزة ، بين (كوماد) وإمبراطوره ، دون أن يصدر عن التقاء سيفيهما أدنى صوت ..

الطاقة الصافية ..

أما المقاتلان ، فكانا ـــ حسبما يُفترض ـــ أقوى مقاتلين فى (جلوريال) كله ..

ولقد امتدّ أمد المبارزة طويلًا ..

التقى السيفان وتباعدا مئات المرات ..

وهتف (كوماد) :

ـــ يلُوح لى أن إمبراطورنا قد صار أكثر مهارة عن ذى قبل ..

ابتسم الإمبراطور ابتسامة شيطانية ، وقال :

ـــ أنت قلتها يا قائد الجيوش .. إننى لست إمبراطوركم .

تراجع (كوماد) فى رشاقة ، وهو يصدّ سيف الإمبراطور ، قائلًا :

ـــ حتى ولو لم تكن كذلك .

ثم هوَى بسيفه ، مستطردًا فى حدة :

ـــ فلن تبلغ مهارة (كوماد) أبدًا .

أطلق الإمبراطور ضحكة ساخرة عالية وهو يقول :

ـــ أى نوع من المهارة يا قائد الجيوش .

راوغ (كوماد) سيف إمبراطوره ، ومال جانبًا فى

مرونة ، ثم مال جانبًا ، وانقضّ على الإمبراطور انقضاضة مباغتة ، هاتفًا :

ــ هذه المهارة .

ولكن الإمبراطور تفادى ضربة سيف (كوماد) ، وقفز إلى الخلف ، فوق أولى درجات سلم العرش ، وهو يطلق ضحكة مخيفة ، هاتفًا :

ــ حتى هذه تفشل فيها معي يا قائد الجيوش .

طوّح (كوماد) سيفه عند قدم الإمبراطور ، قائلًا :

ــ هل تراهن ؟

قفز الإمبراطور إلى أعلى ، متفاديًا سيف (كوماد) ، وهاتفًا :

ــ بالتأكيد .

ولكن تلك القفزة حصدت ما بذره (كوماد) ، فقد اختلّ توازن الإمبراطور ، مع هبوطه على حافة درجة السلم الثانية ، فسقط فوق عرشه ، وسقط سيف الطاقة منه ..

وهنا انقضّ (كوماد) على الإمبراطور ، صارخًا :

ــ نعم .. إننى أفضّلها هكذا .. فوق عرشك .

وغرس سيف الطاقة فى قلب الإمبراطور ..

* * *

جفّف الدكتور (عبد المنعم) العرق الغزير ، الذى يتصبّب على جبينه ، وقال للدكتور (محمد حجازى) فى توتّر :

ــ تصوّر أننى أعجز عن تصديق هذا .

غمغم الدكتور (حجازى) :

ــ أظننى أشاركك هذا الشعور .

تنهّد الاثنان فى آن واحد ، ولاذا بالصمت ، وهما يتطلّعان إلى السفينة الإمبراطورية ، القابعة على رمال الصحراء ، على بعد كيلومتر واحد منهم ، ثم لم يلبث الدكتور (حجازى) أن قطع حبل الصمت هذا ، وهو يقول :

ــ الموقف فى الواقع يُدهشنى كثيرًا ؛ لأننا نجلس هنا ، فى هذه الأطلال القديمة ، ونخطّط لهجوم بدائى ، على سفينة القيادة نفسها ، فى القرن الحادى والعشرين ، ألا يبدو لك الموقف هزليًا ؟

ابتسم الدكتور (عبد المنعم) ابتسامة متوترة ، وهو يقول :

ــ بل مرعبًا .

صمت لحظات ، ثم أضاف فى قلق :

ــ أتظن أن مثل هذا الهجوم الهمجى ، يمكن أن يفلح ، فى هزيمة سفينة فضائية متطوّرة كهذه ؟

أجابه الدكتور (حجازى) فى هدوء :

ــ إنه ليس هجومًا همجيًا كما قد تتصوَّر .. إن هجومنا ليس سوى جزء من خطة محكمة ، تعتمد على النظام الشديد الدقة ، الذى يتبعه هؤلاء الغزاة ، منذ احتلالهم الأرض ، فإيقاعهم يرتبط بالشمس ارتباطًا وثيقًا ، حيث تنطلق عيون الحراسة مع مغيب الشمس تمامًا ، فتجول فى المدن والطرقات ، وتسحق أى بشرى تلتقى به ، ثم تنسحب كلها مع مشرق الشمس ، معلنة انتهاء فترة حظر التجوال ، ومع انسحاب عيون الحراسة ، تبدأ وسائل المراقبة الأخرى ، مثل أجهزة الاستشعار ، والرادارات الليزرية ، وآلات الالتقاط الصوتى الفائقة .

قال الدكتور (عبد المنعم) فى قلق :

ــ وهل تتصوَّرون أننا نستطيع مواجهة كل هذا ، بمجرَّد أننا نمتلك قوة بشرية كبيرة ، وعددًا محدودًا من بنادق الأشعة الأرجوانية ؟

هزَّ الدكتور (حجازى) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ بالتأكيد لا .

ثم أضاف فى حسم :

ــ ولكن رجالنا يراقبون هذا النظام ، منذ أعلن (نور)

بدء المقاومة ، وأسفرت مراقبتهم هذه عن أن السفينة الإمبراطورية هى التى تشرف على هذا النظام البالغ الدقة ، بوساطة أجهزة توجيه فائقة الحساسية .

قال الدكتور (عبد المنعم) متوترًا :

ــ ما زال حديثك يزيد الأمر تعقيدًا .

تنهَّد الدكتور (حجازى) مرة أخرى ، وقال :

ــ لست أدَّعى أن العملية هينة ، أو أنه من الممكن أن تصبح كذلك ، ولكنها حرب ، وكل الحروب قاسية وعنيفة .

قال الدكتور (عبد المنعم) فى حدَّة :

ــ لو أن الأمر كما تصفه ، فلن تكون هذه معركة ، بل مذبحة .. إن السفينة الإمبراطورية وحدها قادرة على سحق جيشنا كله ، مع الضربة الأولى .

صمت الدكتور (حجازى) لحظات ، وكأنما يستجمع أفكاره ، ثم قال :

ــ إننا نعتمد فى الواقع على البلبلة ، فى الضربة الأولى ، فلقد تم اتصال بين (رمزى) و (سلوى) ، التى عثرت مع ابنتها على مركبة (بودون) الفضائية ، وبناء على هذا الاتصال تغيَّرت خطتنا كلها ، فمع مشرق الشمس ، ستبدأ عيون

الحراسة فى العودة إلى حظائرها ، وتبدأ مرحلة المراقبة ، وفى نفس اللحظة سنبدأ هجومنا على كل الجبهات .. فى البداية ستظهر مركبة (بودون) فى سماء المعركة ، وتقوم (سلوى) و (نشوى) بنسف أبراج الإشارات الرئيسية ، فوق سفينة القيادة ، وهكذا ينقطع الاتصال بين السفينة الأم ، وجيوش المحتلين ، وتعجز السفينة الإمبراطورية — فى الوقت نفسه — عن الاتصال بعيون الحراسة ، أو استخدام وسائل المراقبة والدفاع الأخرى ، وفى نفس الثانية ، التى تسقط فيها أبراج الإشارات ، سيبدأ هجومنا نحن .

قال الدكتور (عبد المنعم) ، وقد جذب الأمر انتباهه فى شدة :

— هذه الخطة تبدو جيّدة ، ولكن بها نقطتى ضعف بالغتى الخطورة .

سأله الدكتور (حجازى) :

— ما هما ؟

أجاب الدكتور (عبد المنعم) فى انفعال :

— أوّلهما أن اقتراب مركبة (بودون) من السفينة الأم أمر مشكوك فيه ؛ لأنه من المؤكّد أن السفينة الإمبراطورية مزوّدة بوسائل غاية فى التطوّر والتعقيد ، تسمح لها بكشف أية مركبة تقترب منها ، وسحقها بلا رحمة .

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه موافقًا ، وقال :

— هذا صحيح بالتأكيد ، ولكن مركبة (بودون) لها خاصية نادرة ، ألا وهى القدرة على الانتقال آنيًا ، من مكان إلى آخر (*) ، بحيث ستظهر فجأة فوق السفينة الإمبراطورية ، كما لو أنها قد برزت من العدم .

هتف الدكتور (عبد المنعم) :

— هذا عظيم .

ثم عاد يستطرد فى اهتمام :

— هناك نقطة الضعف الثانية ، وهى أن السفينة مزوّدة حتمًا بوسيلة احتياطية ، بحيث لا تتوقّف عن العمل تمامًا ، عند نسف أبراج الإشارات .

أجابه الدكتور (حجازى) :

(*) **(الانتقال الآنى) ، أو (الانتقال اللحظى) :** حلم العلماء منذ الستينات ، وهو مصطلح يعنى انتقال الجسم المادى ، من نقطة إلى أخرى ، دون المرور بمراحل وسيطة ، وفيه يتم تحليل الجسم إلى ذرات ، تنتقل كموجات الراديو ، بحيث يتم استقبالها ، وإعادة تجسيمها فى نقطة أخرى ، ولقد أجريت تجربة ناجحة فى هذا المجال ، فى (سياتل) الأمريكية ، عام ١٩٦٩ م .

— أنا واثق من وجود هذه الوسيلة الاحتياطية ، ولكننا نعتمد على الهجوم المباغت ، بحيث نثير بلبلة العدو وارتباكه ، ونبلغ غايتنا ، قبل أن يتخذ الوسيلة الاحتياطية .

عقد الدكتور (عبد المنعم) حاجبيه ، وهو يدرس الأمر من كل جوانبه ، ثم التفت إلى الدكتور (حجازى) ، وقال :

— هناك نقطة هامة أيضًا ، وهى .....

قاطعه الدكتور (حجازى) ، وهو يشير إلى نقطة خارج المكان :

— لم يعد هناك مجال للنقاش يا صديقى .. سبق السيف العذل[*] .

التفت الدكتور (عبد المنعم) إلى حيث يشير الدكتور (حجازى) ، وأدرك ما يعنيه هذا الأخير ..

لقد بدأ شروق الشمس ..

وحانت لحظة القتال ..

* * *

(*) سبق السيف العذل : مثل عربى قديم ، يضرب لبيان عدم جدوى اتخاذ المعاذير ، بعد وقوع الفعل . والعذل : اللوم .

٨ — بلبلة ..

ابتسمت (مشيرة) ، وهى تتطلع إلى (رمزى) ، فى ذلك الزى ، الذى جعله أشبه بواحد من الغزاة ، وقالت :

— يا إلهى !.. لولا أننى واثقة من أنك (رمزى) ، لارتجفت رعبًا أمامك .

لم يزد (رمزى) على قوله :

— هذا الزى التنكرى رائع .

ثم أضاف :

— وسترتدين مثله .

غمغمت :

— أعلم هذا .

ثم أطلقت ضحكة قصيرة ، وهى تستطرد :

— ولكن حذار أن يلتقط لى أيكم صورة هولوجرافية ، فى هذا الزى .

لم يبتسم أى من المحيطين بها ، وهى تقف مع (رمزى) ،

وسط المقر السرّى للوحدة الطبية ، التابعة لفريق المقاومة ، فتنحنحت فى حرج ، وأضافت :

— لن يكون هذا لائقًا .

ابتسم (محمود) ابتسامة شاحبة ، وهو يرقد على فراش المرض ، وقال فى وهن :

— إنك ستبدين جميلة فى أى زى يا (مشيرة) .

أطلقت ضحكة مرحة ، عندما أرضت العبارة أنوثتها ، وقالت فى دلال :

— أحقًا ؟!

قال (رمزى) فى صرامة :

— لا وقت لهذا .. علينا أن نتجه إلى مركز البث بعد قليل .

ابتسمت (مشيرة) ، وقالت :

— هل تغار ؟

أجابها فى حدّة :

— قلت : لا وقت لهذا .

تطلّعت إليه لحظة ، ثم قالت :

— سمعًا وطاعة أيها القائد .

تركته واتجهت إلى حجرة جانبية ، لترتدى زيها التنكّرى ، فابتسم (محمود) ، وقال لرفيقه :

— دعنى أستعد سؤالها يا (رمزى) .. هل تغار ؟

أجابه (رمزى) فى حزم :

— مطلقًا .

صمت لحظة ، ثم أضاف فى عصبية :

— وأنت تعلم أن (مشيرة) لم تعد تهمّنى ، على الرغم من أننا كنا زوجين فيما مضى ، ولكننى الآن أرتبط بـ (نشوى) ، ابنة (نور) .

راقبه (محمود) لحظات ، ولكن القناع الذى يرتديه (رمزى) أخفى انفعالاته تمامًا ، وهو يتابع :

— ثم إن الوقت لا يسمح بالتفكير فى هذا .

عادت (مشيرة) بعد لحظات ، وهى ترتدى زيًا يُشْبِهُ الغزاة ، وأطلقت ضحكة مرحة ، وهى تقول :

— هل أبدو فاتنة ؟

ابتسم (محمود) ، وهو يقول :

— بالتأكيد .

أما (رمزى) ، فقال فى حزم :

— هيا يا (مشيرة) .. ستشرق الشمس بعد قليل .

سأله (محمود) فى ضيق:

ـ هل سأبقى وحدى هنا ؟

أجابه (رمزى) فى تعاطف :

ـ أنت مصاب يا صديقى .

أومأ (محمود) برأسه متفهمًا فى مرارة ، ثم رفع يده بجهاز إرسال صغير ، وهو يقول :

ـ على أية حال ، سأبقى على اتصال دائم بكم ؛ فربما احتجتم إلى خبراتى فى مجال الأشعة .

ابتسم له (رمزى) ، ولوح بكفه ، ثم اتجه مع (مشيرة) إلى الخارج ، فأحنى (محمود) رأسه فى حزن ، مكررًا :

ـ ربما ..

ومن عينيه ، انحدرت دمعة حزن ..

* * *

صرخت كل خلية من خلايا (كوماد) بالظفر والانتصار ، عندما انغرس سيفه حتى مقبضه فى قلب الإمبراطور ، فأطلق هو صيحة هائلة ، وهو يهتف :

ـ المجد لـ (جلوريال) .. المجد لـ ..

تجمدت الكلمات على شفتيه ، واحتبست فى حلقه ،

واتسعت عيناه فى ذعر وذهول ، وهو يحدق فى وجه الإمبراطور ، وابتسامته الساخرة .

وتراخت أصابع (كوماد) ، وتراجع مشدوهًا ، تاركًا سيفه فى قلب الإمبراطور ، وهاتفًا :

ـ مستحيل !.. مستحيل !

وأمام عينيه الذاهلتين المذعورتين ، نهض الإمبراطور واقفًا فى هدوء ، ومقبض سيف (كوماد) مازال يبرز عند موضع قلبه ، ونصله المصنوع من طاقة صافية يخترق ظهره ..

وانطلقت من حلق الإمبراطور ضحكة ..

ضحكة ساخرة شيطانية رهيبة ..

ثم ارتفعت يد الإمبراطور تقبض على مقبض السيف ..

وانتزعته من القلب الإمبراطورى فى حركة سريعة ، انتفض لها جسد (كوماد) ، الذى كرر :

ـ هذا مستحيل !

وبحركة تموج بالازدراء ، ألقى الإمبراطور سيف الطاقة ، عند قدمى (كوماد) ، وهو يقول ساخرًا :

ـ هل أدهشك هذا ؟

حدق (كوماد) فى موضع طعنة السيف ، عند قلب

الإمبراطور ، حيث لم تسقط قطرة دم واحدة ، ثم رفع عينيه فى ذهول إلى عينى الإمبراطور الناريتين ، وهتف :

ـــ من أنت ؟

أشار إليه الإمبراطور ، وقال فى لهجة مخيفة :

ـــ أنت تعلم أننى لست الإمبراطور .

كرّر (كوماد) :

ـــ من أنت إذن ؟

لوّح الإمبراطور بكفه ، مجيبًا :

ـــ أنا مثل (جلاكس) .. كائن بلا قلب ، ولكننى أختلف عنه فى أنه ليست لى عروق أو شرايين تنبض .

بذل (كوماد) أقصى جهده ، ليتغلّب على خوفه ، وهو يهتف :

ـــ لست من (جلوريال) إذن ؟!

أطلق الإمبراطور ضحكة ساخرة مخيفة ، وأجاب :

ـــ بل لست من عالمكم كله .. أتريد أن تعرف حقًا من أنا ؟.. انظر إذن .. انظر وسترى .

عند هذه النقطة بدأ جسد الإمبراطور يتموّج ، كما لو كان يبدو من خلف حوض مائى كبير ..

واتسعت عينا (كوماد) فى رعب ..

نعم .. فى رعب حقيقى هذه المرة ..

لم يعد الواقف أمامه هو الإمبراطور ..

بل لم يعد حتى يشبهه ، أو يشبه أى كائن آخر ، عرفه (كوماد) فى عمره كله ..

كان شيئًا بشعًا ..

بل هو البشاعة نفسها ..

وبعينين تشتعلان بالنيران ، اتجه ذلك الشىء نحو (كوماد) ، الذى تراجع بدوره ، حتى التصق بجدار القاعة ، وهو يردّد :

ـــ لماذا تحتل عرشنا ؟.. لماذا ؟

رفع الشىء كفه أمام (كوماد) ، وقال فى غضب :

ـــ لقد فعلت هذا من أجله .. كل هذا من أجل ذلك الأرضى (نور) .

تمتم (كوماد) :

ـــ من أجله ؟!

تعلّقت عيناه المذعورتان بكرتين زرقاوين ، فى راحتى الشىء ، الذى قال بلهجته الشيطانية المخيفة :

— والآن قد علمت كل ما سعيت لمعرفته يا عزيزى (كوماد) ، لم يعد هناك مفرّ من أن تلحق بصديقك (جلاكس) .

تهاوى صوت (كوماد) ، وهو يتمتم :

— ولكن لماذا ؟.. لماذا تبارزت معى ، وأنت تعلم أنك لن ..؟

أطلق الشىء ضحكة ساخرة ، وقال :

— قليل من المرح يا قائد الجيوش .. قليل من المرح .

ثم ألصق الكرتين بكتفى (كوماد) ..

واتسعت عينا قائد الجيوش الجلوريالية ..

وانتفض جسده فى عنف ..

وأدرك أنه يموت ..

يموت ..

يموت ..

وسقط (كوماد) ..

سقط جثة هامدة ، عند قدمى الإمبراطور ..

الإمبراطور الزائف ..

وفى هدوء ، عاد ذلك الشىء إلى الهيئة الإمبراطورية ، وابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

— الوداع يا قائد الجيوش .

ثم رفع رأسه هاتفًا :

— إلىّ يا حرّاس .

انفتحت أبواب القاعة إثر النداء ، واندفع حارسان داخل القاعة الإمبراطورية ، وتسمّرت أقدامهما ، وهما يحدّقان فى جثة (كوماد) فى ذهول ، حتى انتزعهما صوت الإمبراطور من ذهولهما ، وهو يقول فى صرامة :

— احملا جثة هذا الخائن إلى الخارج .

حمل الحارسان جثة (كوماد) ، ولم يتلاش ذهولهما بعد ، فى حين عاد الإمبراطور فى زهو إلى عرشه ، واستقرّ فوقه فى خيلاء ، وهو يقول :

— لن يوقف أحد انتقامى .

اندفع أحد رجاله إلى القاعة — فى هذه اللحظة — وانحنى أمامه فى اضطراب واضح ، وهو يقول :

— فليغفر لى سمو الإمبراطور اقتحامى لقاعته الخاصة ، ولكن الأمر بالغ الخطورة .

سأله الإمبراطور فى اهتمام :

— ماذا وراءك ؟

أجابه الرجل ، وهو يلهث انفعالاً :

ـــ لقد أرسلنا دفعة جديدة من الأسرى ، إلى جحيمك الخاص يا مولاى ، ولكن .. ولكن ..

سأله الإمبراطور بنفاد صبر :

ـــ ولكن ماذا ؟.. هل حدث تمرّد هناك ؟

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ لا يا مولاى ، ولكن الطوّافة التى ذهبت ، لم تجد أحدًا هناك .

انعقد حاجبا الإمبراطور ، وهو يهتف :

ـــ لم تجد ماذا ؟.. ماذا تعنى يا رجل ؟

أجابه الرجل :

ـــ لم يجدوا هناك سوى جنودنا ، الذين قضى عليهم الأسرى ، قبل أن يغادروا الجحيم .

اشتعلت عينا الإمبراطور ببريق مخيف ، تراجع له الجندى فى ارتياع ، فى حين غمغم الإمبراطور :

ـــ إذن فقد فرّوا من جحيمى الخاص .

وسأل الجندى بغتة :

ـــ متى ذهبت آخر طوّافة إلى هناك ؟

أجابه الجندى :

ـــ منذ سبع ساعات يا مولاى .

صمت الإمبراطور لحظات ، ثم هتف بالجندى :

ـــ اتركنى وحدى .

انحنى الجندى فى حركة سريعة ، واندفع مغادرًا القاعة ، فى حين هبط الإمبراطور عن عرشه ، وهو يحدّث نفسه قائلاً :

ـــ كان ينبغى أن أتوقّع هذا ، ما دمت قد وضعت اثنين من الفريق فى مكان واحد ، حتى ولو كان هذا المكان هو جحيمى الخاص .

اتجه نحو ركن من أركان قاعته ، وضغط عدة أزرار ، فأضيئت أمامه ثلاث شاشات راصدة ، نقلت إليه كل ما يدور حول السفينة ، وهو يقول :

ـــ كل شىء يبدو هادئًا ، ولكننى واثق أنهم فى مكان ما هنا ، فلقد درست شخصياتهم جيّدًا ، ولو أننى فى موضعهم ما انتظرت ، ولبدأت هجومى على الفور ..

عاد يدور فى قاعته ، وهو يستطرد :

— ما الخطة التى سأتبعها ، لو أننى فى مثل ظروفهم ؟..
بالتأكيد كنت سأسعى للهجوم على السفينة الإمبراطورية مباشرة .. ما الوقت المناسب إذن للهجوم على السفينة الأم ؟.. نعم .. إنه حتما لحظة شروق الشمس .. عندما تبدأ عيون الحراسة رحلة العودة ، وترتفع أبراج الإشارات والمراقبة .. ولكن كيف سيخططون لتدمير الأبراج ؟.. لا ريب أن لديهم خطة لهذا أيضا .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة شيطانية ساخرة ، وهو يقول :

— وواجبى هو أن أفسد خطتهم هذه .

اتجه فى خطوات سريعة نحو عرشه ، وجلس فوقه ، وضغط زر الاتصال الخاص ، وقال فى حزم :

— هناك تغيير فى خططنا الدفاعية اليوم .. لن تعود عيون الحراسة إلى حظائرها ، مع شروق الشمس ، وسنحيط سفينة القيادة بمجال كهرومغناطيسى قوى ، يمنع أية قوى من بلوغها .

أتاه جواب مسئول الأمن :

— سمعا وطاعة يا مولاى .

أنهى الإمبراطور الاتصال ، وقال :

— عندما يبدأ هؤلاء الأرضيون هجومهم ، سيجدون أمامهم مفاجأة .. مفاجأة مذهلة .

ورددت القاعة صدى ضحكة ساخرة ..

ضحكة شيطانية ..

* * *



٩ ــ المفاجأة ..

اعتدل الحارسان الخاصان ، بمحطة البث الميلوجرالى العام ، التابعة للقيادة العامة لقوات الاحتلال ، عندما توقف أمامهما قرص طائر ، يحمل شعار القيادة ، وهبط منه أحد ضباط (جلوربال) ، يتبعه جندى واحد ، واتجه الضابط إلى الحارسين ، وهو يقول فى صرامة :

ــ انتباه .. إنه تفتيش خاص .

توقف يتطلع إلى الحارسين فى إمعان وصرامة ، ثم قال لأحدهما فى غضب :

ــ منذ متى لم تقم بتلميع خوذتك أيها الجندى ؟

ارتبك الجندى ، وقال :

ــ أنت تعلم كثرة العمل أيها الضابط ، و .....

صاح به الضابط فى صرامة :

ــ ليس هذا عذرًا أيها الجندى .

هتف الجندى فى توتر :

ــ بالتأكيد يا سيِّدى .

أشار إليه الضابط فى ازدراء ، وهتف :

ــ هيَّا .. ابتعدا .

أفسح له الجنديان الطريق فى توتر ، وتركاه يعبر مع الجندى إلى داخل محطة البث ، ثم زفر أحدهما ، وهو يغلق بابها خلفه ، وغمغم لزميله :

ــ هذا الضابط شديد الصرامة .. من حسن الحظ أنه لم ينتبه إلى حذائى ، فلقد فقدت رباطه هذا الصباح .

مطَّ زميله شفتيه فى ضيق ، وقال :

ــ أنت حسن الحظ .

أما الضابط ، فلم يكد يجد نفسه داخل محطة البث ، حتى زفر بدوره ، وقال :

ــ يا إلهى !.. لم أتصوَّر أن تنجح الخطة بهذه البساطة .

لم يكن هذا الضابط سوى (رمزى) ، فى زيه التنكُّرى ، ولم يكن جنديه سوى (مشيرة) ، التى أجابته مبتسمة :

ــ يبدو أن النظم العسكرية تتشابه ، فى الكون كله .

ابتسم (رمزى) ابتسامة باهتة ، لم تلبث أن تلاشت فى سرعة ، وهو يقول :

ــ المهم الآن أن تنجح فى بلوغ حجرة البث ، فالسيطرة على وسائل الإعلام خطوة بالغة الأهمية ، فى أية ثورة .

غمغمت :

ـــ سننجح بإذن الله .

عبرا معًا ممرًا طويلا ، يقود إلى قاعة واسعة ، يمتد منها بدورها عدد من الممرات ، أثارت حيرة (رمزى) ، فسأل (مشيرة) :

ـــ أتعلمين أى اتجاه ينبغى أن نتخذ ، لنبلغ حجرة البث ؟

ابتسمت مجيبة :

ـــ بالطبع .. أنسيت أن هذه المحطة كانت ـــ فيما مضى ـــ محطة (أنباء الفيديو) ، التى كنت أرأسها قبل الاحتلال ؟

ثم أشارت إلى الممر الأيمن ، مستطردة :

ـــ سنتخذ هذا الاتجاه .

سارا معًا إلى الممر المنشود ، وسألها (رمزى) :

ـــ هل يمكنك إدارة أجهزة البث ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـــ بالتأكيد .. الأجهزة الحديثة لا تحتاج لأكثر من شخص واحد لإدارتها ، فالكمبيوتر يقوم بكل العمل .

قال (رمزى) :

ـــ هذا من حسن حظنا ، وإلا وجدنا أنفسنا نواجه جيشًا جرارًا .

مطت شفتيها ، وقالت :

ـــ يُدهشنى فى الواقع أننا لم نلتق بهذا الجيش الجرّار ، فلقد كنت أتوقّع أن تحاط محطة البث بجيش حراسة كامل .

قال فى توتُّر :

ـــ تذكّرى أننا لم ننجح فى بلوغ المحطة ، إلا لأننا نرتدى هذا الزى التنكّرى ، القادر على خداع أجهزة الفحص عند العدو ، ولولا هذا لسحقتنا وسائل الأمن الإليكترونية ، قبل أن نقترب من حاجز أمن المحطة .

شعر بها تضغط يده فى اضطراب ، وهى تقول :

ـــ استعد .. أمامنا مسئول أمن المحطة .

شدّ (رمزى) قامته ، ورسم شيئًا من الصرامة على قناعه المطّاطى ، وهو يستقبل ضابط أمن محطة البث ، الذى تطلّع إليه فى شك ، وهو يقول :

ـــ مرحبًا أيها الضابط .. تُرى ما سر هذه الزيارة المفاجئة ؟

أجابه (رمزى) فى حزم :

— إنه تفتيش مفاجئ .

هتف ضابط الأمن :

— تفتيش مفاجئ ؟!.. عجبًا أيها الضابط !!.. هل تغيرت سياستنا العسكرية فى (جلوريال) ؟

سأله (رمزى) فى توتر :

— ماذا تعنى ؟

أشار ضابط الأمن إلى الحارسين ، اللذين يتبعانه ، وهو يجيب (رمزى) :

— أعنى أنه لم يحدث أبدًا ، فى كل تاريخ (جلوريال) ، أى تفتيش مفاجئ على محطات البث أيها الضابط الـ ..

وبسرعة ، رفع الجميع بنادقهم نحو (رمزى) و (مشيرة) ، والضابط يستطرد فى حدة مباغتة :

— المزيف .

وكانت لحظة حاسمة ..

* * *

سرى التوتر فى عروق (سلوى) ، وهى تقول لابنتها ، داخل مركبة (بودون) :

— أسرعى يا (نشوى) ، الشفق يتلون بأضواء الشروق .

أجابتها (نشوى) ، التى تقود المركبة فى مهارة :

— إننى أبذل أقصى جهدى يا أماه ، فهذا النوع من أجهزة الكمبيوتر يختلف كثيرًا ، عن الأنواع المألوفة هنا .

ثم تهللت أساريرها ، وهى تستطرد :

— ها هو ذا .. الآن سيبدأ الهجوم .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى بدأت المركبة تتلاشى ، على نحو أثار قلق (سلوى) ، فقالت متوترة :

— ماذا يحدث ؟

أجابتها (نشوى) فى حماس :

— إننا نبدأ رحلتنا يا أماه .

تلاشت المركبة كلها ، وأحاطت موجة من الألوان المتداخلة بـ (سلوى) و (نشوى) ، مع تيار مغناطيسى هادئ ، وهتفت (نشوى) :

— إذن فهذا هو الانتقال الآنى .

امتزجت الألوان بعضها ببعض فى تموجات ناعمة رقيقة ، لم تلبث أن تلاشت بدورها ، وراحت جدران المركبة تعود للظهور ، وهتفت (سلوى) هذه المرة :

— انظرى يا (نشوى) .. إننا نتجسد ثانية ، أمام

السفينة الإمبراطورية مباشرة .. هيًا يا بنيّتى ، استخدمى مدفع الأشعة الأرجوانية فى المركبة ، لنسف أبراج الإشارات ، وبدء الهجوم .

هتفت (نشوى) فى حماس :

ـ فليكن .

قالتها وضغطت زر إطلاق الأشعة ..

وانطلقت الأشعة الأرجوانية من المركبة ..

ولكن برجًا واحدًا لم يسقط ..

لقد ارتطمت الأشعة بالحاجز الكهرومغناطيسى القوى ، وتلاشت بأزيز عنيف ..

ثم ساد سكون ..

سكون يأس وإحباط ..

ووسط الأطلال هتف الدكتور (حجازى) :

ـ يا إلهى !.. لقد فشل الهجوم .. فشل مع الضربة الأولى .

انهار الدكتور (عبد المنعم) ، وهو يقول :

ـ كنت أخشى هذا .. كنت أخشى هذا .

وفى المركبة الفضائية شحب وجه (نشوى) ، واحتبست الكلمات فى حلقها ، فى حين قالت (سلوى) فى ذعر :

ـ لقد فشلنا .. والآن ماذا سنفعل ؟.. ماذا ؟

أما داخل السفينة الإمبراطورية ، فقد أطلق الإمبراطور ضحكته الشيطانية الساخرة ، وقال :

ـ الآن انعكست الظروف ، وأصبحت المفاجأة من نصيب أصدقائنا الأرضيين .

ثم تلاشت سخريته ، واستطرد فى شراسة :

ـ وسنلعب نحن بعامل المفاجأة هذا .

وارتفع صوته فى وحشية :

ـ اسحقوا تلك المركبة الفضائية ، وأطلقوا عيوننا الحارسة على هذه الأطلال القريبة .. سنسحق ثورة الأرضيين سحقًا .

وبدأ الهجوم المضاد ..

* * *

ليس من المألوف أن يواجه طبيبٌ نفسىّ موقفًا قتاليًا كهذا ..

ليس من المعتاد أن يجد نفسه أمام بنادق قاتلة ، فى مكان محدود ..

ولكن (رمزى) يختلف ..

إنه ليس طبيبًا نفسيًا عاديًا ..

إنه واحد من أعضاء الفريق ..

فريق (نور) ..

لقد ارتفعت بنادق المحتلين الخمسة نحو (رمزى) و (مشيرة) ، فتجمّدت أطراف (مشيرة) ، واتسعت عيناها فى رعب ..

أما (رمزى) ، فقد اتخذ الجانب الإيجابى ، ورفع بندقيته بدوره

وانطلقت خيوط الأشعة الأرجوانية .

وشعر (رمزى) بآلام مبرحة فى ذراعه ، ورأى أشعته تسحق ضابط أمن المحطة ، وتطيح بأحد جنوده ..

ثم سقط على ظهره ..

وتراقصت المشاهد أمامه ..

كان قد أصيب إصابة شديدة فى ذراعه ..

وفى غضب اتجه إليه الجندى الأخير ، وهو يقول :

ـ دماء حمراء ؟!.. إنك لست أحد رجالنا حتمًا .

ثم رفع بندقيته نحو (رمزى) ، مستطردًا :

ـ وهذا هو العقاب الذى تستحقّه ..

وعكست الجدران بريق أشعة أرجوانية ساحقة .

* * *

١٠ ـ البطل ..

كل الأمل تلاشى ..

كل الخطة انهارت ..

كشف المحتلون اللعبة كلها ، وقلبوا المائدة على رءوس الأرضيين ..

وفى أعماق (نشوى) تفجّر غضب هائل ، جعلها تهتف :

ـ اللعنة !

صاحت بها (سلوى) :

ـ فلنبتعد أوّلًا ، قبل أن يبدأ الهجوم المضاد .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى انطلق من السفينة الإمبراطورية خيط من الأشعة الأرجوانية ، مرّ على قيد سنتيمتر واحد من المركبة الفضائية ، وفجّر قلق (سلوى) ، فصاحت :

ـ انطلقى يا (نشوى) .. انطلقى ..

ضغطت (نشوى) أزرار الانطلاق ، فى نفس اللحظة التى انطلق فيها شعاع أرجوانى آخر نحو المركبة ..

وبدأت المناورة ..

أشعة السفينة الإمبراطورية تحاصر المركبة ، التى تدور فى خطوط غير منتظمة ، لمراوغة خيوط الأشعة ..

وهتفت (سلوى) :

ـــ لن يمكننا تجاوز هذا الحصار .. إننا ندور حول أنفسنا فحسب .. الحل الوحيد هو الانتقال الآن ..

صاحت (نشوى) :

ـــ أعلم أن هذا هو الحل الوحيد ، ولكن ذلك المجال الكهرومغناطيسى القريب يفسد عمل جهاز الانتقال ، و .....

لم تكد تتم عبارتها ، حتى أصاب المركبة شعاع أرجوانى .. مسّ جدارها فحسب ..

وكان هذا يكفى ..

فقدت المركبة توازنها ، وراحت تدور حول نفسها فى عنف ، و (سلوى) تهتف :

ـــ تشبثى بأجهزة القيادة يا (نشوى) .

صاحت (نشوى) فى مرارة :

ـــ إننى أحاول .. إننى أحاول .

ومن قلب الأطلال ، هوى قلب الدكتور (حجازى) بين قدميه ، وهو يراقب ما يحدث ، وهتف فى ارتياع :

ـــ لقد أصابوا المركبة .. إنها تهوى .. ستسقط أرضًا .

أجابه الدكتور (عبد المنعم) فى توتر :

ـــ يخيّل إلىّ أن (سلوى) و (نشوى) تحاولان استعادة زمام القيادة ، فالمركبة تتخذ مسارات منتظمة أحيانًا .

هتف الدكتور (حجازى) :

ـــ المركبة تهبط .. انظر .

لم يسمع جوابًا من رفيقه ، فالتفت إليه مستطردًا :

ـــ لقد نجحتا فى الهبوط بالمركبة .. إنهما الآن على الأرض .

بدا له الدكتور (عبد المنعم) جامدًا ، ذاهلًا ، اتسعت عيناه فى رعب واضح ، فهتف به :

ـــ ماذا بك ؟

أشار الدكتور (عبد المنعم) عبر نافذة جانبية انهارت قمتها ، وهو يقول فى رعب :

ـــ صحيح أنهما قد هبطتا فى سلام ، ولكن من يدرى ؟.. ربّما كان بقاؤهما فى السماء أكثر أمنًا .

التفت الدكتور (حجازى) إلى حيث يشير (عبد المنعم) ، ثم تراجع بدوره ، واتسعت عيناه أيضًا فى رعب ..

فهناك ..

من حيث تشرق الشمس ، كان هناك سرب هائل مخيف ، يندفع نحو الأطلال ، التى يختبئ فيها جيش الأرضيين ..

سرب من العيون ..

عيون الحراسة القاتلة ..

* * *

ارتجف جسد (رمزى) ، مع انطلاق خيط الأشعة الأرجوانية ، وانتظر أن يشعر بآلام رهيبة ، وينسحق جسده سحقًا ..

ولكن هذا لم يحدث ..

كل ما حدث هو أن الجندى ، الذى كان يصوّب بندقيته نحو (رمزى) ، لم يعد فى مكانه ..

لقد أطاحت به أشعة أرجوانية ..

أشعة بندقية (مشيرة) ..

وأطلق الجندى صرخة ألم هائلة ، تلاشت فى لحظة واحدة ، ثم ساد سكون تام ..

سكون رهيب ..

وبعدها انفجرت (مشيرة) باكية ..

لم يحتمل جهازها العصبى كل هذا القدر من الإثارة ..

لم يحتمل ذلك الموقف ، عندما قتلت مخلوقًا حيًا ، لأوّل مرّة فى عمرها ..

وفى تهالك ، اعتدل (رمزى) ، وربّت على كتفيها ..

وفى انهيار ، رفعت هى عينيها إليه ، وغمغمت :

ــ لقد قتلته يا (رمزى) .. قتلته .

تمتم فى تعاطف :

ــ لم يكن أمامك سوى هذا يا عزيزتى .. لقد انقذت حياتى .

انهمرت الدموع غزيرة من عينيها ، وهى تقول :

ــ لقد فعلت هذا من أجلك يا (رمزى) .. من أجلك وحدك .

ضمّها إلى صدره فى رقة ، وهو يقول :

ــ أعلم هذا يا عزيزتى .. أعلم هذا

ثم اعتدل ، مضيفًا :

ــ ولكن لا ينبغى أن ينسينا هذا الموقف مهمتنا الرئيسية .

جفّفت دموعها ، وقالت :

ــ بالتأكيد ..

تحامل على نفسه لينهض ، وسار معها إلى حجرة البث الرئيسية ، وجلست هى أمام الأجهزة فى انبهار ، وراحت تتحسسها فى سعادة ، مغمغمة :

ــ كم اشتقت لكل زر من هذه الأزرار .

ثم أضاءت كل شاشات الرصد أمامها ، وهى تستطرد :

ــ ستنقل لنا هذه الشاشات كل ما يدور حولنا ، و .....

احتبست الكلمات فى حلقها ، عندما نقلت لها واحدة من شاشات الرصد ما يحدث حول السفينة الأم .

واتسعت عينا (رمزى) ، وهو يهتف :

ــ يا إلهى !!

كان أمامهما مشهد رهيب ..

بل مذبحة ..

مذبحة للحرية ..

* * *

راحت عيون الحراسة تحصد الجميع بلا رحمة أو هوادة ..

وانطلقت صرخات الأرضيين من الأطلال القديمة ..

حاول البعض الفرار ..

حاول العديدون الاختباء بين الأطلال ..

ولكن هذا أو ذاك لم يخدع عيون الحراسة ..

كانت تطارد الفارين ، وتتسلل إلى حيث المختبئين ..

وتحصد الجميع ..

وفى بسالة ، تصدى بعض الأرضيين للعيون القاتلة ، وراحوا يطلقون عليها بنادق الأشعة الأرجوانية ، التى استولوا عليها من جنود (جلوريال) ..

ولكن هيهات ..

كانت العيون تأتى بالمئات ..

بل بالآلاف ..

تأتى من كل صوب ..

وأصبحت فعلاً مذبحة ..

وداخل مركبة (بودون) ، صرخت (سلوى) فى مرارة :

ــ إنهم يقتلون شعبنا .. يحصدونه حصدًا ..

هتفت (نشوى) :

ــ اهدئى يا أماه .. إننى أحاول إصلاح المركبة .

صاحت (سلوى) :

ــ فلتذهب المركبة إلى الجحيم .

وقبل أن تدرك (نشوى) ما تعنيه أمها ، كانت هذه الأخيرة قد اختطفت واحدة من بنادق الأشعة ، وقفزت خارج المركبة ..

وصرخت (نشوى) فى رعب :

ــ لا يا أماه .. لا ..

ومن مخبئه ، رأى الدكتور (حجازى) هذا المشهد ، فصرخ :

ــ ما الذى تفعله هذه المجنونة ؟

ودون تردّد أو تفكير ، قفز خارج المخبأ ، وانطلق يعدو نحو (سلوى)، ومن خلفه صاح الدكتور (عبد المنعم) فى فزع :

ــ إلى أين أيها المجنون .. إنك تنتحر هكذا .

تجاهل الدكتور (حجازى) هذا النداء تمامًا ، وواصل ركضه نحو (سلوى) ، وأمسكها من كتفيها ، هاتفًا :

ــ كيف تخاطرين بالخروج هكذا ؟.. المركبة هى المكان الآمن لك، و .....

سمع أزيزًا مخيفًا من خلفه ، فالتفت إليه فى حركة حادة ، ثم التصق بالمركبة فى ارتياع ، وهو يكمل :

ــ إنها النهاية هذه المرة ..

فقد كانت هناك عينان من عيون الحراسة القاتلة تنقضان عليه وعلى (سلوى) .

وكانت النهاية بحق ..

ولكن لا ..

لم تكن النهاية بعد ، على الرغم من أن كل الظروف والملابسات توحى بهذا ..

لقد انطلق فجأة شعاعان لهما لون أزرق باهت ، ونسفا عينى الحراسة نسفًا ..

وارتفعت عيون الجميع إلى النقطة ، التى انطلقت منها تلك الأشعة الزرقاء ..

ووقعت عيون الجميع على مشهد مذهل ..

فى محطة البث اختلج قلبا (رمزى) و (مشيرة) ..

وعلى فراش المرض اتسعت عينا (محمود)، وتهلّلت أساريره ..

فى ساحة القتال تجمدت عيون الجميع . وخفقت قلوبهم ..

حتى فى قلب السفينة الإمبراطورية اتسعت عينا الإمبراطور ..

ففى اللحظة التى فقد فيها الجميع الأمل ..

وعندما تأزمت كل الأمور وتعقدت ..

وفى ظل كل هذا ظهر البطل ..

الرمز ..

الأسطورة ..

ظهر (نور) ..

الرائد (نور الدين محمود) ..

* * *

١١ ــ فى الأعماق ..

من المؤكد أنه توجد دائمًا لحظات ، فى خضمّ أية أحداث ، تستحق أن يتوقف عندها المرء ، ويتساءل ..

وأن يعود إلى الماضى قليلًا ؛ لمعرفة الأسباب ، التى أدت إلى ما أمامه من نتائج ..

وهذه اللحظة تبدو مثالية ..

لحظة ظهور (نور) فى قلب الأحداث ، بعد أن اختفى طويلًا عن الساحة ..

وهذه اللحظة تحتاج إلى رحلة خلفية سريعة ..

رحلة إلى الماضى القريب ..

إلى حيث تركنا (نور) ، داخل مقاتلة جلوريالية ، تغوص به فى أعماق المحيط الأطلنطى ..

وتتهشم ..

دعونا نعد إلى هذه اللحظة ..

معًا ..

* * *

هوَت مقاتلة (نور) فى المحيط ، وراحت تغوص فى أعماقه بسرعة مخيفة ، حتى أشار مقياس العمق فيها إلى أربعة كيلومترات ، تحت سطح الماء ، وراحت جدران المقاتلة تتضاغط وتتهشّم ..

ثم انهارت الجدران دفعة واحدة ..

واندفعت أطنان من مياه المحيط نحو (نور) ...

وأدرك بطلنا أن الضغط الهائل على جسده ، فى مثل هذا العمق ، سيسحقه سحقًا فى لحظة واحدة ، وسط ظلام دامس رهيب ..

وخيّل إليه أن أذنيه تنفجران ..

و .....

وسقط فى دوّامة مظلمة رهيبة ..

فى غيبوبة عميقة ..

أظلمتْ الدنيا فجأة ..

ثم أضاءت فجأة ..

هكذا ..

بنفس سرعة انتقالك من السطر الأوّل إلى الثانى ..

هكذا بدت بالنسبة لـ (نور) ..

فجأة استعاد وعيه ، ووجد نفسه يرقد فوق أريكة وثيرة ، وسط حجرة واسعة ، تتألّق فيها مصابيح بيضاء جميلة ، وتحتشد فيها أجهزة طبية لم ير لها مثيلًا فى عمره كله .. وتلفّت (نور) حوله فى حيرة ..

أين هو ؟..

ما الذى أتى به إلى هذا المكان ؟..

آخر ما يذكره هو فقدانه لوعيه ، داخل مركبة فضائية جلوريالية ، على عمق أربعة كيلومترات فى قلب المحيط ..

نهض عن الأريكة الوثيرة فى حذر ، وعاد يُلقى نظرة ثانية على المكان ، الذى بدا له أشبه بحجرة عمليات جراحية حديثة ، ثم اتجه نحو شاشة مظلمة ، ذكّرته بأجهزة الكمبيوتر القديمة ، وراح يتطلّع إلى لوحة الأزرار الملحقة بها ..

كانت الأزرار تحمل أسماء كل اللغات التى يعرفها (نور) ، إلى جوار لغات أخرى ، لم يسمع بها فى عمره كله ..

وضغط (نور) زر اللغة العربية ، فأضيئت الشاشة على الفور ، وارتسمت فوقها كلمات عربية واضحة ، تقول :

ـــ ما الذى تطلبه ؟

قال (نور) فى اهتمام :

ـــ لماذا أنا هنا ؟

تراصت الكلمات العربية على الشاشة ، تقول :

ـــ تمزق فى طبلتى الأذنين ، ونزيف داخلى حاد ، ناشئ عن الخروج المباغت من جسم معدنى إلى المحيط ، على عمق أربعة كيلومترات ، ولقد تم علاج تمزق طبلتى الأذن بجراحة ليزرية دقيقة ، وإيقاف النزيف بجراحة ميكروسكوبية عاجلة .

شعر بدهشته تتعاظم ، أمام هذا الجواب ، فسأل :

ـــ وكيف لم ألق مصرعى ، فى هذا العمق ؟

أجابه الكمبيوتر :

ـــ لم تتعرض للضغط لأكثر من ثانيتين ، ولقد أجرى الجراح الآلى العمليتين فور وصولك :

خيل إليه أن عقله يعجز عن استيعاب كل هذا ، فجلس على مقعد قريب ، وظل يتطلع إلى الشاشة لحظات فى صمت ، حتى رأى فوقها عبارة تقول :

ـــ هل من أسئلة أخرى ؟

اعتدل يسأل فى حيرة :

ـــ ومنذ متى أنا هنا ؟

أجابه الكمبيوتر :

ـــ منذ تسع ساعات وسبع دقائق وثانية واحدة .

انتبه فجأة إلى أنه لم يلق السؤال الأهم ، فقال :

ـــ ومن أحضرنى إلى هنا ؟

فى نفس اللحظة التى تألق فيها الجواب على الشاشة ، سمع (نور) من خلفه صوتًا معدنيًا ، طال اشتياقه له ، يقول :

ـــ (س ١٨) فى خدمتك يا سيدى .(*)

عندئذ أدرك الجواب ..

* * *

استنفد (س ١٨) طاقته كلها ؛ لإنقاذ (نور) وفريقه ، فى معركتهم مع غزاة الأعماق ، وراح جسده يغوص فى المحيط الأطلنطى (**) .

ولم يقاوم (س ١٨) ..

الطاقة الباقية له لم تكن تسمح له بالمقاومة ..

فقط توجد حجيرة ضئيلة للغاية من الطاقة ، تكفى لاتخاذ ما يلزم ؛ للتزود بطاقة جديدة ، أو البقاء متيقظًا ..

وغاص جسد (س ١٨) فى أعماق الأطلنطى ..

وفجأة التقطت أجهزته الحساسة إشارة لم تتلق مثلها منذ زمن طويل ..

(*) راجع قصة (المقاتل الأخير) .. المغامرة رقم (٤٧) .

(**) راجع قصة (المحيط الملتهب) .. المغامرة رقم (٦٣) .

منذ قرون عديدة ..

إشارة من السادة ..

سادة (أطلانطس) ..

ووجّه (س ١٨) أجهزته كلها نحو الإشارة ..

وترك جسده يسبح إليها ..

ولاحت له الأطلال ..

أطلال السادة ..

واستعادت ذاكرة (س ١٨) الآلية تاريخًا قديمًا ..

واستقرّ جسده وسط الأطلال ..

كانت الإشارة ضعيفة ، ولكنها كافية لتستقبلها أجهزته الفائقة الحساسية ..

وبآخر ماتبقّى له من طاقة ، اعتدل (س ١٨) واقفًا ، فى أعماق المحيط ، واتجه نحو مصدر الإشارة ..

وعند باب مغلق ، توقّف (س ١٨) ..

وفى هدوء ، دسّ سبّابته ووسطاه فى فراغين مستديرين ، فى جانب الباب ..

وانفتح الباب المعدنى فى بطء ..

وعبر (س ١٨) الباب ، وتركه يُغلق خلفه بنفس البطء ، قبل أن تبدأ آلات شفط الماء وطرده فى العمل ..

وعندما صار المكان جافًا ، انفتح باب آخر ، يقود إلى مركز القيادة ..

ذاكرته الآلية تذكر هذا المركز ..

حيث بدأ ..

وفى خطوات ضعيفة واهنة ، اتجه (س ١٨) ، بآخر نقطة طاقة فى جسده الآلى ، نحو صندوق ضخم ..

وانفتح صدر (س ١٨) ، وبرز منه قضيبان معدنيان ، التصقا بالصندوق الضخم ..

الآن فقط راحت الطاقة تسرى فى عروقه ..

طاقة هائلة ، تكفى لإضاءة مدينة كاملة ..

طاقة صافية ..

وحصل (س ١٨) على كل مايحتاج إليه من طاقة ، فابتعد القضيبان المعدنيان عن الصندوق ، وعادا إلى صدره ، الذى أغلق خلفهما فى إحكام ..

بعدها غادر (س ١٨) المكان كله ..

عاد إلى المحيط ..

إلى أطلال (أطلانطس) القديمة ..

وعلى عمق خمسة كيلومترات ، فى أعماق المحيط الأطلنطى ، وقف (س ١٨) ينتظر نداء سيّده ..

نداء (نور) ..

لم يشعر أبدا بالملل .. لم تبرمج أجهزته لمثل هذا الشعور ..

فقط كان ينتظر ..

وبعد عامين تقريبًا ، التقطت أجهزة (س ١٨) ، الفائقة الحساسية ، صوت ارتطام عنيف بسطح المحيط ..

وراح هذا الجسم ، الذى ارتطم بالمحيط ، يغوص فى سرعة كبيرة ..

وكفحص روتينى ، فحص (س ١٨) هذا الجسم ..

كان مقاتلة فضائية ، بداخلها جسم بشرى ..

وكان هذا الجسم مألوفًا ..

إنه (نور) ..

آخر السادة ..

(نور) يتعرّض للخطر ..

وهذا يكفى ..

وانطلق (س ١٨) ؛ لنجدة سيّده ..

وعندما بلغ (س ١٨) موقع المقاتلة ، كان جدارها قد انهار منذ ثانية واحدة ..

وتوقّف (س ١٨) ، وأطلق من صدره كرة شفّافة ، تعاظم حجمها فى سرعة ، ثم أحاطت بجسد (نور) إحاطة السوار بالمعصم ..

بل إحاطة الغلاف الجوى بالأرض ..

الآن صار (نور) فى أمان ..

الكرة الشفّافة تعزل جسده عن الضغط الجوى الهائل ، الواقع عليه ، فى مثل هذا العمق ، ولكن هذا لا يعنى أنه بمأمن ..

وبسرعة فائقة ، راحت أجهزة (س ١٨) تفحص جسد (نور) ، الفاقد الوعى ..

هناك تهتّك فى طبلتى الأذنين ..

ونزيف داخلى ..

وانطلق (س ١٨) عائدًا إلى (أطلانطيس) ..

إلى جناح طبى خارق ، بقى سليمًا ، على الرغم من مرور عشرات القرون ، على غرق تلك القارة العظيمة ..

ونجا (نور) ..

* * *

شعر (نور) بسعادة فائقة ، عندما وجد (س ١٨) أمامه ، فاندفع نحوه ، وربّت على كتفيه فى حرارة وهو يهتف :

— مرحبًا بك يا صديقى .. كم اشتقت إليك .

أجابه (س ١٨) بالعبارة الوحيدة ، المسجلة فى برنامجه :

— (س ١٨) فى خدمتك يا سيّدى .

لم يدر (نور) أية علاقة تلك ، التى تربطه بـ (س ١٨) !!.

إنه يشعر كما لو كان قد التقى بصديق بشرى قديم ..

ولكن (س ١٨) آلة ..

مجرّد آلة ..

تألقت ذاكرة (نور) فجأة بصوت (بودون) ، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، قائلاً :

— ابحث عن (س ١٨) .. إنه أملكم الوحيد ..

وانعقد حاجبا (نور) فى شدة ..

لا .. إن (س ١٨) ليس مجرّد آلة ..

إنه أمل ..

وبكل حماسه ، أمسك (نور) كتفى (س ١٨) ، وهتف :

— أتعلم يا صديقى ؟.. العناية الإلهية وحدها هى التى قادتنى إليك ، أو قادتك إلىّ .. إنك ستغادر هذه الأعماق ، وتعود معى إلى الأرض .. إنك أملنا الأخير يا (س ١٨) .

بكل برود وآلية ، أجابه (س ١٨) :

— فى خدمتك يا سيّدى .

وكان ما كان ..

* * *



١٢ ــ العودة ..

كان لظهور (نور) مع (س ١٨) ، فى سماء المعركة ، أثرٌ هائلٌ فى نفوس الجميع ..

وخفقت كل القلوب ..

حتى عيون الحراسة توقَّفت ، وتجمَّدت فى أماكنها ، وكأنها تقيس قوة ذلك القادم الجديد ..

ولكن (س ١٨) لم يتوقَّف ..

لقد هبط مع (نور) إلى وسط ساحة المعركة ..

وهنا انطلقت كل عيون الحراسة نحو المقاتل الأطلانطى الأخير ..

وفرد (س ١٨) كفيه وأصابعه ، وانطلقت من الأنامل الآلية أشعة زرقاء ، راحت تنسف عيون الحراسة نسفًا ..

وتهللت أسارير الأرضيين ..

وانتعش الأمل فى قلوبهم ..

كانت عيون الحراسة تهاجم (س ١٨) من كل صوب ،



وفرد (س ١٨) كفيه وأصابعه ، وانطلقت من الأنامل الآلية أشعة زرقاء ، راحت تنسف عيون الحراسة نسفًا ..

ولكن المقاتل الآلى كان يدور حول نفسه فى سرعة مدهشة ، ويطلق أشعته عليها فى مهارة ، دون أن يخطئ إصابة الهدف مرة واحدة .

واندفع (نور) نحو زوجته وابنته ، واحتضنهما فى حرارة ، وتفجّرت (سلوى) باكية بين ذراعيه ، وهى تهتف :

ـ كنت أعلم أنك ستعود .. كنت أعلم هذا .

هتف بها (نور) :

ـ كان من الضرورى أن أعود ، من أجل من أحب .

صافحه الدكتور (حجازى) فى حرارة ، وهو يقول :

ـ كم تسعدنى رؤيتك يا (نور) ، وَكَم يُثلج قلبى أن نجحت فى العثور على (س١٨) ، والعودة به .

أجابه (نور) ضاحكًا :

ـ الواقع أنه هو الذى عثر علىّ يا سيّدى .

ثم التقط بندقية من بنادق الأشعة الأرجوانية ، وهو يستطرد :

ـ ولكن دعنا لا نضيع هذه الفرصة هباءً .

ورفع يده بالبندقية ، صائحًا :

ـ هجوم .

نطقها وانطلق يعدو نحو السفينة الأم ، وتبعه كل الأرضيين ، وهم يطلقون صيحات حماسية هائلة ، فهتفت (سلوى) :

ـ سأذهب مع (نور) .

وقال الدكتور (حجازى) :

ـ ومن ذا الذى يتخلّف عن مثل هذه اللحظة التاريخية ؟

أما (نشوى) ، فانهمكت فى إصلاح مركبة (بودون) ، وهى تقول :

ـ أنا سأتخلف عنها .

وكان هجومًا رهيبًا ، على سفينة القيادة ..

وفى داخل السفينة ، جلس الإمبراطور على عرشه هادئًا ، يراقب ما يحدث على شاشات الرصد ، بلا انفعال ، ثم لم يلبث أن قال فى شراسة :

ـ إذن فقد وصلت إلى هنا بنفسك يا (نور) .. مرحبًا بك .

وضغط زر الاتصال ، المثبت بمسند العرش ، وقال فى حزم :

ـ افتحوا أبواب السفينة .

استقبل رجاله هذا الأمر ، بمزيج من الذهول والاستنكار الشديدين ، وهتف قائدهم فى غضب ، أنساه الاحترام الواجب ، فى مخاطبة الإمبراطور :

— نفتح الأبواب ؟!.. ولكن لماذا يا مولاى ؟.. إنهم مجرَّد حفنة من البشر ، لن تبلغ قوتهم أبدا قوة النيازك ، التى ترتطم بسفينتنا ، فى رحلاتنا الفضائية ، دون أن تخلف فيها أدنى أثر .

زمجر الإمبراطور فى شراسة ، وهو يقول :

— أنسيت أيها الجندى الحقير أنه لا يحق لك مناقشة الإمبراطور ، فيما يُصدر من أوامر ؟.. إن هذه خطتى .. هيا افتح الأبواب ، أو يحيق بك الغضب الإمبراطورى .

وبكل الحنق والسخط فى صدورهم ، فتح جنود (جلوريال) أبواب السفينة الإمبراطورية ..

واندفع الأرضيون إلى داخل السفينة الأم ، وهم يطلقون صيحاتهم الظافرة ..

وكان مشهدا تاريخيًا رائعا بحق ..

وعلى فراش المرض ، داخل المقر الطبى السرى للمقاومة ، انهمرت دموع الفرح من عينى (محمود) ، وهتف :

— لم أتوقَّع أن أرى هذا .. لم أتوقعه أبدا .

أما (رمزى) و (مشيرة) ، فقد تفجَّر فى أعماقهما حماس جارف ، تناسى معه (رمزى) جرحه وآلامه ، وراح يصرخ :

— انقل هذا المشهد إلى العالم كله يا (مشيرة) .. انقليه إلى الدنيا كلها .

أجابته ودموعها تُغرق وجهها :

— إننى أبثه إلى كل الشبكات بالفعل .. إنها لحظة الحرية يا (رمزى) .. لحظة النصر .

وفى كل بقعة من بقاع العالم ، شاهد سكّان الأرض ما يحدث ، على نفس الشاشات الهولوجرافية العملاقة ، التى أقامها الغزاة ؛ لنقل أوامرهم إلى الأرضيين ..

شاهدوا جيشًا من فرسان العرب ، يقتحم السفينة الإمبراطورية ، رمز القهر والذل والطغيان ..

رمز الاحتلال ..

ثم ارتفع فوق السفينة علمان ..

علم أبيض ، تتوسّطه كرة خضراء ، يرمز إلى كوكب الأرض ..

وعلم (مصر) ..

وهنا انفجر البركان ..

كل شعوب الأرض اتحدت فى شعور واحد ، وموقف واحد ..

الثورة ..

ثورة عارمة ، شملت الكوكب كله ، فى لحظة واحدة ..

ثورة ضد المحتلين ..

وهناك ، فى ساحة المعركة الكبرى ، كان جيش (نور) قد نجح فى احتلال السفينة الإمبراطورية تمامًا ، فيما عدا قاعة الإمبراطور ، فهتف (نور) :

— هيا يا رفاق .. سنحطِّم معًا آخر رموز الاحتلال .

انطلق نحو القاعة الإمبراطورية ، وتبعته (سلوى) وهى تصيح :

— نحن خلفك يا (نور) .. تقدَّم على بركة الله .

تبعهما الدكتور (حجازى) أيضًا ، وقد شمله حماس جارف ، وهتف :

— كيف يمكننا اقتحام تلك القاعة ؟.. إن جدرانها تبدو لى شديدة القوة والمتانة ، و .....

قبل أن يتم كلمته ، انفتحت أبواب القاعة الإمبراطورية بغتة

انفتحت دفعة واحدة على نحو أدهشه وأفزعه فى آن واحد ..

ثم ساد الصمت ..

كان الإمبراطور يجلس على عرشه هادئًا ، ساكنًا ، يتطلَّع إليهم بنظرة عجيبة ، تحمل من الترقُّب والجذل أكثر مما تحمل من الخوف أو القلق ..

بل لقد كانت — على عكس الموقف — نظرة ظافرة ..

ولم تمنع تلك النظرة (نور) ورفيقيه من اقتحام القاعة ، و (نور) يهتف :

— دالت دولتك أيها الإمبراطور ، وسقطت إمبراط...

بتر عبارته بغتة ، مع صوت الأبواب ، التى أغلقت خلفهم فى عنف ..

وانتبه أبطالنا الثلاثة بغتة إلى الموقف ..

انتبهوا إلى أن الإمبراطور (آغرو) قد عزلهم عن الجميع ، داخل قاعته الإمبراطورية الخاصة ..

ولقد أعلن (آغرو) هذا بضحكة شيطانية ساخرة ظافرة ، أطلقها من فوق عرشه ، وارتجَّت لها جدران قاعته ..

ولم تكن الجدران وحدها هى التى ترتج

أيضًا قلب (سلوى) فعل ..

لقد ذكّرتها تلك الضحكة بمغامرة قديمة ، ارتجفت لها كل قطرة دم فى عروقها ..

ويبدو أن الدكتور (حجازى) أيضًا قد استعاد الذكرى نفسها ، فقد شحب وجهه ، وغمغم متوترًا :

ربّاه !!.. هذه الضحكة ؟!..

أما (نور) فقد انعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يقول :

— أى هدف تنشد ، من خطتك السخيفة هذه ؟

أجابه الإمبراطور فى سخرية ، وبلغة عربية واضحة ، على الرغم من أنه لم يكن يرتدى واحدة من تلك الخوذات الجلوريالية ، التى تقوم بالترجمة :

— أظن هدفى يبدو واضحًا أيها الذكى .. إنه عزلكم .

وبضغطة زر من أزرار عرشه ، أضيئت شاشات الرصد ، ونقلت إليهم ما يدور خارج القاعة ، وهو يستطرد :

— قبل أن أتعامل مع جيشكم السخيف .

قال (نور) فى حزم :

— يبدو أنك قد نسيت (س ١٨) ، ذلك المقاتل الأطلنطى ، ذا الوجه الأخضر ، الذى نسف كل عيون الحراسة فى لحظات .

هز الإمبراطور رأسه نفيًا فى هدوء ، وقال :

— لا .. لم أنسه بالطبع .

وبضغطة زر آخر ، شاهد الثلاثة على شاشة الرصد حلقات مضيئة ، تسبح فى الهواء ، وتنقضّ على (سْ ١٨) ، فى مناورات مثيرة ، فابتسم (نور) فى سخرية ، وقال :

— من الواضح أنك تجهل من هو (س ١٨) .. إن هذا الذى تراه أمامك أعظم سلاح أنتجته البشرية ، منذ هبوط (آدم) (عليه السلام) إلى الأرض ، وما من قوة معروفة يمكنها القضاء عليه ، أو .....

قاطعه الإمبراطور :

— ومن قال إننى أسعى للقضاء عليه ؟

وارتسمت على شفتيه ابتسامة شيطانية ، وهو يستطرد :

— إننى سأبعده قليلًا فحسب .

لم يفهم (نور) ورفاقه ما يعنيه الإمبراطور بقوله ، فاتجهت أنظارهم إلى شاشات الرصد فى اهتمام ، ورأوا بعض الحلقات تحيط بـ (س ١٨) ، ثم تبدأ فى الدوران فى سرعة ..

وفى قلق ، غمغم (نور) :

— لست أظنك تتصوّر أن هذا سيربكه .. إنه ليس بشريًا .

لم يجب الإمبراطور ، وإنما ارتسمت على وجهه ابتسامة ساخرة ، فواصل (نور) مراقبته للشاشة ، قبل أن تنطلق منه ، دون أن يدرى ، شهقة دهشة ..

لقد رأى جسد (س ١٨) يتلاشى تدريجيًا ..

ثم يختفى بغتة ..

والتفت (نور) إلى الإمبراطور ، وصوّب إليه فوهة البندقية الساحقة ، وهو يهتف غاضبًا :

— ماذا فعلت به أيها الحقير ؟

أطلق الإمبراطور ضحكة شيطانية ساخرة أخرى ، وهو يجيب :

— رحلة صغيرة إلى الماضى .. هذه الحلقات المضيئة سر حربى خطير ، لا يستخدمه سوى الإمبراطور فقط ، وهى محدودة أيضًا ، فلا تصلح للاستخدام سوى مرة واحدة ، لهذا ادخرتها للحظة حاسمة كهذه .. أتدرون ما الذى فعلته برجلكم الآلى الخارق ؟.. لقد فتحت أمامه فجوة فى جدار الزمن ، ونقلته إلى العصور القديمة ، حيث سيظلّ محتفظًا بقوته

وقدراته ، ولكنه لن يضيرنا .. فكرة عبقرية .. أليس كذلك ؟

قالها وهو يطلق ضحكة ساخرة أخرى ، جعلت (نور) يهتف به :

— أيها الحقير .. إنك تستحق القتل .

اشتعلت عينا الإمبراطور بغضب هائل ، وهو يقول :

— بل شعبك هو الذى يستحق القتل أيها الرائد ..

والتفت بحركة حادة عنيفة إلى شاشات الرصد ، مستطردًا فى شماتة ظافرة :

— انظر .

رأى الجميع على شاشات الرصد أسطوانة هائلة ، تشبه أسطوانات الكمبيوتر ، أو الأسطوانات الموسيقية ، تبرز من خلف السحب والغيوم ، وتسبح نحو جيش الأرضيين ، والإمبراطور يقول فى انفعال :

— هل تذكرون هذه الأسطوانة ؟.. إنها نفس الأسطوانة ، التى كانت تمتصّ الإشعاعات الذرية ، عندما كنا نفجّر مفاعلاتكم ، مع بداية الغزو (*) أراهن أن هذا قد

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

أدهشكم جميعًا حينذاك ، وأنكم قد تساءلتم عن سر امتصاصنا لكل تلك الطاقة الهائلة .. لقد كان هذا لسببين عظيمين .. هذا أحدهما .

قالها عندما أصبحت الأسطوانة فوق كومة كبيرة من البشر ..

ثم أطلقت حزمة رهيبة من الحرارة ..

ونقلت شاشات الرصد صوت صرخات آلاف المعذبين وأنات آلام رهيبة هائلة ..

احترق الآلاف ..

اشتعل المئات ..

وكان مشهدًا بشعًا فظيعًا ، أنسى (نور) كراهيته للقتل ، وهو يلتفت إلى الإمبراطور صارخًا :

ـــ أيها الوغد الحقير .

ثم أطلق أشعة البندقية الساحقة ..

وارتطمت حزمة الأشعة القاتلة بصدر الإمبراطور ..

وكان ينبغى أن تسحقه سحقًا ..

ولكنها لم تفعل ..

بل بدت وكأنها ما مسته مسًا ..

وبدلًا من أن تنطلق منه صرخة ألم ، تفجرت من حلقه ضحكة ساخرة مخيفة ، تراجع لها أبطالنا الثلاثة ، فشحب وجه (سلوى) ، حتى بدا وكأن دماء الحياة قد فارقته تمامًا ، وارتجف الدكتور (حجازى) ، وهو يحدق فى ذلك الواقف أمامه ، فى خوف وذهول ، فى حين هتف (نور) :

ـــ إنك لست إمبراطور (جلوريال) حتمًا .

فوجىء الثلاثة بصوت يأتى من جانب العرش الإمبراطورى ، قائلًا :

ـــ بل قل إننى لست حيثما تظن أننى هناك .

ومع تلاشى العبارة ، راح جسد الإمبراطور يتلاشى فى موضعه ، ثم ظهر على قيد متر واحد من هذا الموضع ، وهو يبتسم فى سخرية ، فانعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

ـــ من أنت ؟

أطلق الإمبراطور ضحكة ساخرة عالية ، وهو يقول :

ـــ ألم تعرف بعد من أنا ؟.. حقًا ؟

قالها وراحت صورته تتموّج وتتغيّر ..

واختفت صورة الإمبراطور ..

وظهر ذلك الشيء على حقيقته ..

صورة شيطانية بشعة ، جعلت الدكتور (حجازى) يهتف فى رعب :

ــ إنه هو .. يا إلهى !!.. إنه هو .

وكانت لحظة رعب ..

رعب قاتل ..

* * *



١٣ ــ الحقيقة ..

خفق قلب (محمود) فى عنف ، وهو يتابع على شاشته ذلك المشهد المخيف ، لأسطوانة الطاقة ، التى تبيد أهل الأرض بحزم الحرارة الهائلة ، فالتقط جهاز الاتصال ، وراح يقول فى انفعال :

ــ إنه تركيز لطاقة رهيبة ، وتحويلها إلى طاقة حرارية ، فى إطار شديد التركيز والفاعلية .. هل يسمعنى أحدكم ؟

أتاه صوت (نشوى) ، وهى تقول :

ــ نعم .. أنا أسمعك يا (محمود) ، وأشاهد ذلك الموقف بنفسى ، ولكن أخبرنى ، بصفتك خبير علم الأشعة فى الفريق ، هل من وسيلة ؛ لمنع تلك الأسطوانة الرهيبة ، من إبادة شعبنا ؟

صمت لحظات ، ثم قال فى أسف :

ــ لست أجد وسيلة ممكنة حاليًا يا (نشوى) ، فلا يمكن امتصاص كل هذه الطاقة ، خاصة وقد اختفى (س ١٨) ، على هذا النحو العجيب .

ثم استطرد فى توتر :

ـ ولكن أخبرينى .. أين (نور) و (سلوى) ؟

أجابته فى مرارة :

ـ لقد احتجزهم الإمبراطور داخل السفينة الأم ، ولا أحد يعلم ما مصيرهم بالداخل .

تقاطر الألم من حروف كلماته ، وهو يقول :

ـ يبدو أننا قد تسرّعنا فى الفرحة بالنصر يا (نشوى) .. إن أسطوانة الطاقة هذه ستبيد الجميع ، وستحيل النصر إلى هزيمة ماحقة ، ومذبحة لم يعرف التاريخ مثلها قط ..

هتفت فى حنق :

ـ ولكن هناك وسيلة للقضاء عليها حتما .. هناك وسيلة لامتصاص هذه الـ .....

بترت عبارتها بغتة ، ثم سمع هو صوتها ، يأتيه عبر جهاز الاتصال ، وهى تهتف فى انفعال :

ـ يا إلهى !!.. إن لدىَّ الوسيلة يا (محمود) .. لدىَّ الوسيلة .

صاح فى قلق :

ـ أخبرينى بها أوّلا يا (نشوى) ، فقد ...

لم يتم عبارته ..

لم يفعل ، لأنه لم يجد جدوى لهذا ..

لقد قطعت (نشوى) الاتصال ..

وبدأت العمل ..

* * *

هبط وجوم رهيب على (رمزى) و (مشيرة) ، وهما يشاهدان ما يحدث ، على شاشة الرصد الكبيرة ، فى محطة البث الرئيسية ، وانهمرت دموع المرارة من عينى (مشيرة) ، وهى تقول :

ـ لقد انقلبت الأمور رأسا على عقب .

لم يجب (رمزى) ..

كانت هناك غصة فى حلقه ، تمنعه من النطق ..

غصة الهزيمة ..

وفى نفس المرارة ، تابعت (مشيرة) :

ـ هل أوقف البث ؟

قاوم غُصّته ، وهو يقول فى صوت متحشرج :

ـ لا .

كان سيكتفى بذلك الجواب المقتضب ، إلا أنه شعر بضرورة تفسير موقفه ، فاستطرد :

— من حق الجميع أن يعرفوا ما يحدث .. إنهم يدفعون أرواحهم ثمنا لهذا .

أومأت برأسها موافقة ، وراح الاثنان يتابعان ما يحدث على الشاشة ، قبل أن يعقد (رمزى) حاجبيه ، ويقول فى قلق :

— ما هذا الذى تفعله (نشوى) ؟

قالت (مشيرة) فى ارتباك :

— يخيّل إلىّ أنها ..

قاطعها (رمزى) هاتفا :

— تلك المجنونة !.. أى عمل أحمق هذا ؟!

تسمّرت عيناه على الشاشة ، وهوى قلبه من بين ضلوعه ..

كان ما تفعله (نشوى) مخيفًا ..

مخيفًا بحق ..

* * *

مضت دقيقة كاملة من الصمت ، وأبطالنا الثلاثة يحدّقون فى ذلك المسخ البشع ، الذى ظهر على حقيقته ، بعد أن تلاشت عنه هيئة الإمبراطور (آخرو) ، التى يحتلها منذ زمن ، وراحت أذهانهم تسترجع ذكريات صراع رهيب

صراع قديم ، بينهم وبين هذا المسخ ..

وبكل كراهيته وبغضه ، غمغم (نور) :

— إذن فهو أنت !

أطلق المسخ ضحكة شيطانية رهيبة ، قبل أن يقول :

— نعم يا عزيزى (نور) .. هو أنا .. (بلعزبول الصغير) .. (لوسيفر الابن) .. أو أى اسم يروق لك ، من أسمائى العديدة .. هو أنا (ابن الشيطان) ، الذى تصوّرت أنك قد أزحته تمامًا عن الطريق ، لمجرّد أنك قد هزمته مرّة أو مرتين(*) .

قال (نور) فى غضب :

— إذن فأنت وراء كل هذا .

لوّح (ابن الشيطان) بذراعه فى زهو ، وهو يقول :

— بالتأكيد يا حفيد (أوزيريس) .. كان ينبغى أن تتوقع هذا ، أم أن الغرور قد ملأ نفسك ، عندما هزمتنى فى المرّة الأخيرة ، وأعدتنى إلى ذلك القرص الخالد ، ثم وضعته فى قلب قمر صناعى ، انطلق ليخترق أقرب ثقب أسود إلى الأرض(**) .

(*) راجع قصة (ابن الشيطان) .. المغامرة رقم (٧٢).

(**) راجع قصة (الجولة الأخيرة) .. المغامرة رقم (٧٥).

أطلق ضحكة عالية طويلة ممطوطة ، قبل أن يستطرد :

ــ كانت هذه أكبر خدمة قدمتها لى فى حياتك كلها ، فلقد اخترق القمر الصناعى هذا الثقب الأسود ، الذى لم يكن سوى فجوة فضائية زمنية ، ألقت به بعيدًا فى الفضاء ، وفى الماضى ، حيث بلغ كوكب (أرغوران) ، فى مرحلة سابقة لتلك التى كنتم أنتم فيها هناك ..

ارتسمت ابتسامة شيطانية شامتة على شفتيه ، مع متابعته :

ــ وأسر علماء (أرغوران) هذا القمر الصناعى ، وراحوا يدرسونه ويفحصونه ويمحصونه ، ثم اختاروا قرصى الخاص ، وأهدوه إلى إمبراطورهم ، الذى لم يدرك ماهيته ، فألقاه بإهمال فى خزانة غنائمه .

صمت لحظة ، تطلع خلالها فى تلذذ ، إلى أسطوانة الطاقة البادية على الشاشة ، وهى تبيد الأرضيين بحزمها الحرارية ، ثم واصل :

ــ ثم أتيتم أنتم إلى (أرغوران) ، وهزمتموه ، وساد السلام على سطحه لأول مرة منذ قرون[*] ، وهنا .. وبعد عودتكم إلى أرضكم ، غزا الجلوريالون (أرغوران) ،

(*) راجع قصة (جحيم أرغوران) .. المغامرة رقم (٥٩) .

وهزموه ، وانتقلت خزائن غنائم ملك (أرغوران) إلى إمبراطور (جلوريال) ، وهنا بدأت اللعبة ..

قهقه ضاحكًا ، وكأنما يستعيد ذكريات ممتعة ، ثم تابع :

ــ فى ليلة مظلمة ، راح إمبراطور (جلوريال) يستعرض غنائمه من (أرغوران) ، وعثر على القرص ، وقرأ النقوش المدوّنة فوقه ، ثم ارتجف فى رعب ، عندما رآنى أتكوّن أمامه .. وبعدها تخلّصت منه ، وانتحلت هيئته ، وبدأت أخطّط لعملية غزو الأرض ، للانتقام منك يا (نور) .

شدّ (نور) قامته فى اعتداد ، وهو يقول :

ــ يا للسخافة !!.. ولماذا هذه الخطة الشديدة التعقيد ؟.. كان يمكنك أن تستغل قدراتك نصف الشيطانية ، وتنتقل إلى هنا ، دون غزو أو احتلال .

صرخ (الشيطان الابن) :

ــ مستحيل !!

ثم أضافت فى بُغض مخيف :

ــ كنت أسعى لتدمير الأرض كلها هذه المرّة .. أتعلم الغرض الأوّل لأسطوانة امتصاص الطاقة هذه ؟.. لقد كان تغذية الجحيم .. لقد قرّرت أن أحوّل كوكبك كله إلى جحيم

رهيب يا حفيد (أوزيريس) .. جحيم تحيا فيه مع شعبك فى ذل وعذاب وهوان .. لقد جمعت الأسرى من الأرضيين ، ليحفروا هذا الجحيم ، وبعدها كنت سأطلق أسطوانة الطاقة فى سماء الأرض ، لتدور حول الكوكب ، وتبيد كل من يحيا على سطحه ، وهكذا لن تجدوا أمامكم سوى جحيمى الخاص ، مأمنًا من حرارتها القاتلة .

قهقه مرة أخرى ، قبل أن يستطرد :

— أرأيت كم هى فلسفة ساخرة .. أن يصبح الجحيم وحده هو المأوى والملاذ ؟

قال (نور) فى ازدراء :

— فلسفة وغد مختل .

صرخ (ابن الشيطان) :

— بل فلسفة من امتلأت نفسه بالكراهية حتى النخاع .

ثم أشار إلى صدره ، مستطردًا فى بغض :

— أتعلم السبب الثانى ، الذى منعنى من الانتقال إلى هنا ، دون غزو أو احتلال ؟ إنه أنت يا (نور) .. نعم .. أنت .. بسبب هزيمتك لى أصبحت مطرودًا من عالمى الحقيقى .. من عالم أبى وشعبى .. لم أعد أستطيع الانتقال بين الأبعاد والأزمان ، لأننى لم أعد أستطيع ولوج عالمى .. هل تفهم ؟

قال (نور) فى احتقار :

— كل ما أفهمه هو أننى أمام وغد حقير ، امتلأت نفسه بالكراهية السوداء حتى الأعماق .

صاح (ابن الشيطان) فى سخرية :

— وماذا تنتظر من شيطان صغير ؟

قال (نور) فى حدة :

— بل قل من ..

قاطعته صرخة فزع أطلقتها (سلوى) ، وهى تتطلع إلى شاشة الرصد ، هاتفة :

— ابنتى ؟!.. ابنتنا يا (نور) !!

التفت (نور) بحركة حادة إلى الشاشة ، وخفق قلبه بدوره ، عندما وقع بصره على ذلك المشهد ، الذى أثار ذعر زوجته ..

كان مشهدًا لابنتهما (نشوى) ، وهى تهاجم أسطوانة الطاقة بحركة (بودون) ..

وحدها ..

* * *

١٤ — من أجل من أحب ..

اتسعت عينا (محمـود) فى رعب ، وهب من فراش المرض ، على الرغم من آلامه وجروحه ، وهو يحدّق فى شاشة الرصد ، ويصرخ فى جهاز الاتصال :

— لا يا (نشوى) .. لا تحاولى .. لا تحاولى .

كانت (نشوى) تسمعه فى الواقع ، ولكنها لم تحاول إجابته ..

فقط تركت دموعها تنساب على وجنتيها فى صمت ، وهى تنطلق نحو أسطوانة الطاقة ..

كانت تعلم أنها تمتلك السلاح الوحيد على الأرض ، القادر على إنقاذ شعبها ، وقلب كفتى الميزان مرّة أخرى ..

السلاح الوحيد لاستعادة النصر ..

ولم تكن لتتردّد فى استعماله ..

تمامًا كما كان سيفعل والدها ، فى نفس الظروف ..

ولكن فجأة نقل إليها جهاز الاتصال صوت أمها المذعورة ، وهى تهتف فى ارتياع ولوعة :

— ماذا تفعلين يا بنيتى ؟.. ابتعدى يا (نشوى) .. عودى أدراجك قبل فوات الأوان .

كان يمكنها أن تصمت ..

أن تتجاهل النداء ، وتواصل انطلاقها نحو هدفها ..

ولكنها لم تستطع ..

لقد وجدت نفسها تهتف :

— ما من سبيل سوى هذا يا أماه .. أتذكرين سلاح (بودون) السرى ؟.. ذلك الذى يمتصّ الطاقة بكل أنواعها .. إنها اللحظة المناسبة لاستخدامه يا أماه .. لن أسمح للمحتلين باستعادة قوتهم ، وأنا أمتلك السلاح الكافى لردعهم .

حمل صوت (سلوى) كل الدموع ، التى انهمرت من عينيها ، وهى تهتف :

— لا يا بنيّتى .. لسنا نعلم ما إذا كان سلاح (بودون) سيحتمل كل هذه الطاقة أم لا .. تراجعى يا بنيّتى .. أرجوك .

بلّلت دموع (نشوى) وجهها ، وهى تقول فى حزم :

— لا يا أمى .. لن أتراجع أبدًا .. لن أفعل ما دمت أحمل اسم (نور الدين محمود) .. إننى أفعل هذا من أجلكم

يا أمى .. هل نسيت كلماتك ؟.. « من الرائع أن يبذل المرء حياته ، فى سبيل من يحب » .. وداعًا يا أمى .. وداعًا يا أبى .. معذرة .. سأقطع الاتصال ..

صرخت (سلوى) فى انهيار :

ــ لا يا (نشوى) .. لا .

لم تجب (نشوى) هذه المرة ، وشاهدها العالم كله ، عبر شبكة البث الهائلة ، وهى تحتل أسطوانة الطاقة بمركبة (بودون) ، ثم تضغط زر تشغيل السلاح السرى ..

وتوقفت أسطوانة الطاقة فى الهواء ..

وتوقفت حزمة الجحيم المنهمرة منها ..

وأمام عيون الجميع ، راحت مركبة (بودون) تمتص الطاقة الهائلة من الأسطوانة ..

وفى ارتياع ، هتف (محمود) :

ــ إنها تقتل نفسها .. لن تحتمل كل هذه الطاقة قط ..

وانهار (رمزى) ، وهو يصرخ :

ــ لا يا (نشوى) .. أرجوك .. ليس هكذا .

وتجمدت مشاعر (نور) كلها ، وهو يراقب ما يحدث ، على شاشة الرصد ، فى قلب القاعة الإمبراطورية ، على عكس

(سلوى) ، التى انهارت مشاعرها كلها ، وهى تردد فى خفوت يمزق نياط القلوب ..

ــ لا يا (نشوى) لا يا بنتى .

أما (نشوى) نفسها ، فكانت تعلم المصير ..

مؤشرات مركبة (بودون) أنبأتها به ..

إنها لن تحتمل ..

لن تحتمل كل هذا القدر ..

ولكنها لم تتوقف عن امتصاص الطاقة ..

وعندما اقتربت المؤشرات من نقطة الخطر القصوى ، هتفت (نشوى) :

ــ حياتى من أجل من أحب ..

ودوى الانفجار ..

لم يكن انفجارًا بالمعنى المفهوم ، بل هو ظاهرة لا مثيل لها من قبل ..

لقد تألقت المركبة والأسطوانة كألف شمس ، حتى لقد أقسم أحد العميان أنه قد رأى هذا البريق ، وانطلقت منهما مئات الخيوط الإشعاعية ، من مختلف الألوان ..

ثم تلاشى كل شىء دفعة واحدة ..



ولكن (نور) رفع فوهة بندقيته ، وأطلق أشعتها الساحقة نحو الشيطان ..

تلاشت مركبة (بودون) ..
تلاشت أسطوانة الطاقة ..

وتلاشت (نشوى) ..

وبكل اللوعة والمرارة والهوان فى أعماقها ، صرخت (سلوى) :

— (نشوى) .. ابنتى !!

ثم سقطت فاقدة الوعى ..

أما (نور) فقد تفجّر بركان من الغضب والحزن والسخط والمرارة والألم فى أعماقه دون أن ينبس ببنتِ شفة ..

وكان يعلم بعدم جدوى ما يفعله ، ولكن (نور) رفع فوهة بندقيته ، وأطلق أشعتها الساحقة نحو الشيطان ..

أطلقها مرة .. ومرة .. ومرات ..

و (الشيطان الابن) يُطلق ضحكاته الساخرة الشامتة ..

ثم انهار (نور) ..

لم يعد يحتمل كل هذا ..

لم يعد يحتمل أن يرى مصرع ابنته أمام عينيه هكذا ! ..

وبكل السخرية والشماتة والظفر ، هتف (ابن الشيطان) :

— لم أكن أحلم بانتقام أروع فى الواقـع يا حفيـد (أوزيريس) .. لم أتوقع انتقامًا أفضل من رؤيتك ابنتك تلقى مصرعها أمام عينيك ، حتى ولو انتصرت الأرض ، فلم يعد يعنينى شأنها .

صرخ (نور) :

— أيها الحقير التافه .

واندفع الدكتور (حجازى) يهتف ، ودموعه تغرق عينيه :

— مهما قلت أو فعلت ، فإنك لم تحقّق انتقامك الكامل أيها الملعون .. ربما تكون قد قتلت (نشوى) العزيزة ، أو تسبّبت فى مقتلها ، ولكنها بتضحيتها منحت الأرض فرصة التحرّر .. إنها حرب يا ألعن المخلوقات .. ولكل حرب خسائرها وضحاياها .

أطلق (الشيطان الابن) ضحكة ساخرة عالية ، وقال :

— ولكننى أعتبر هذا انتصارًا ساحقًا أيها الأرضى .. لقد هزمت (نور) فى عقر دارى ، وحطمت قلبه وقلب امرأته ، وقتلت ابنته ، فى نفس الوقت الذى لا يملك فيه سلاحًا واحدًا ، يمكنه أن يطلق نيرانًا .

ثم رفع كفيه إلى أعلى ، وهتف :

— لقد هزمته يا أبى .

تراجع الدكتور (حجازى) فى رعب ، عندما ارتجّت القاعة بهدير قوى عنيف ، واندفعت فيها موجة من رياح ساخنة ، كما لو أن بابًا من أبواب الجحيم قد انفتح على مصراعيه ، و (ابن الشيطان) يستطرد فى صوت مخيف :

— هزمته هزيمة ماحقة هذه المرة .. وسأقتله أمام أعين شعبنا كله ..

ارتجّت القاعة بهدير أكثر عنفًا ، وراحت أشكال ملتهبة تنعكس على جدران القاعة ، وصوت (ابن الشيطان) يتصاعد ويعلو :

— امنحنى كل قوتك يا أبى .. امنحنى طاقة هائلة .. أعد إلىّ كل قدراتى .. كل قوتى .

خيّل للدكتور (حجازى) أنه سيفقد وعيه من شدّة الرعب ، عندما بدأت تلك الأشكال المشتعلة تتخذ صورًا بشعة مرعبة ، وكأنما حضرت كل شياطين الكون ، ليشهدوا حفل انتصار سفيرهم فى عالم البشر ، فى حين حمد (نور) الله (سبحانه وتعالى) ؛ لأن زوجته فاقدة الوعى ، وإلّا توقّف قلبها من شدة الرعب ..

وراح الهدير يتضاعف ويتضاعف ، حتى لقد بدت جدران القاعة وكأنها ترتجف فى رعب وفزع ..

وأدنى (ابن الشيطان) راحتيه من بعضهما البعض ، وراحت تتكوّن بينهما كرة من اللهب ، وهو يهتف فى ظفر :

ــ امنحني القوة يا أبي .. امنحنى إياها .

تعاظم حجم كرة اللهب بين راحتي (ابن الشيطان) ، وتساءل الدكتور (حجازى) كيف أن هذا اللهب لا يؤذى (الشيطان الابن) ، كما تؤذيه النيران ..

واقترب (بعلزبول الصغير) من (نور) ، وهو يردّد :

ــ إنها نهايتك يا حفيد (أوزيريس) .. نهايتك .

ورفع كرة اللهب فوق رأسه ، صارخًا :

ــ نهاية صراع أجيال ..

وفجأة انهار باب القاعة ، واندفع عبره آخر من يتوقّع الجميع رؤيته ، فى هذه اللحظة بالذات ..

(س ١٨) ..

* * *

عندما أحاطت الحلقات المتألّقة بـ (س ١٨) ، لم تدرك أجهزته ما هيتها بالضبط ..

إنها مجرّد حلقات ، لا تحوى أية أسلحة ، على الرغم من أنها مشحونة بطاقة هائلة ..

ثم بدأت الحلقات تدور حوله ..

وفى سرعة ، راحت أجهزته تدرس وتحلّل ما يحدث ، لاتخاذ وسيلة الدفاع المناسبة ..

ولكن الحلقات تلاشت ..

كل ما حول (س ١٨) تلاشى ..

ووجد نفسه يسبح فى مجرى عجيب ، أشبه بأثير موسيقى ناعم ..

وفجأة تجسّدت الأشياء مرة أخرى ..

ولكنه لم يعُد حيث كان ..

كان يحيط به جو مختلف ..

جو بدائى عجيب ..

وتوقف (س ١٨) تمامًا ..

كان عليه أن يفهم أوّلًا ما يحدث ..

وبكل همة ونشاط ، أخذت أجهزته تدرس الموقف ..

ومن بعيد ، راح شخص ضخم الجثة يراقب المشهد ، وهو يحمل فأسًا حجريًا ..

ثم أخذ هذا الضخم يتسلل في بطء إلى حيث (س ١٨) ..

ورصدت أجهزة (س ١٨) اقتراب هذا الضخم ، ووضعت صورته ضمن معطيات الأحداث ، لرسم صورة كاملة للموقف ..

واقترب الضخم أكثر وأكثر ..

ولم يتحرّك (س ١٨) ..

وفي حذر ، راح الضخم يتحسّس جسد (س ١٨) البارد ، في خوف ، ثم لم يلبث أن ازداد جرأة ، مع صمت المقاتل الآلي وسكونه ، فراح يضربه بقبضته في عنف ، وهو يزمجر في شراسة ، ويهمهم بكلمات غير مفهومة ..

وتجاهله (س ١٨) تماما ..

كان يعلم أنه خصم تافه ، لن يضيره بشيء ..

ثم إنه كان يحتاج إلى كل طاقته لدراسة الموقف ..

وفجأة أعلنت أجهزته الداخلية فهمها للأمر ..

لقد انتقل عبر الزمن إلى الماضي ..

إنها حالة خاصة للغاية ، وضعها صانعوه كاحتمال بالغ الضآلة ، في برنامجه الشديد التعقيد ..

ولكنهم وضعوه ..

والآن على (س ١٨) أن يجد الوسيلة المناسبة ، للعودة إلى زمنه ..

وكان هذا ــ على عكس ما قد يبدو ــ أسهل خطوة ..

لقد استعادت ذاكرته الإليكترونية كل التغيرات التي مرّ بها ، والتي سجّلتها أجهزته الفائقة الحساسية ، منذ أحاطت به الحلقات المتألّقة ..

تغيرات المجال الكهرومغناطيسي ..

تغيرات الحرارة ..

شدة الطاقة ..

ثم أجرت أجهزته حساباتها في سرعة ، لعكس الموقف كله ..

وبدأت عملها ..

وتراجع البدائي الضخم الجثة في فزع ، عندما بدأ أزيز سريع يتصاعد من قلب (س ١٨) ..

ثم تلاشى (س ١٨) بغتة ..

حدّق الضخم في المكان ، الذي كان يقف فيه (س ١٨) منذ لحظة واحدة ، ثم حكّ رأسه في حيرة ، وهزّ كتفيه ، ثم عاد يواصل رحلة بحثه عن طعام الغذاء ..

أما (س ١٨) ، فعاد يسبح مرة أخرى ، فى ذلك الأثير الموسيقى الناعم ..

ثم بلغ عصر (نور) ..

بلغه فى نفس اللحظة التى كان (ابن الشيطان) يكوّن فيها كرة اللهب ..

وبحث (س ١٨) عن سيّده فى سرعة ..

وأدرك أين هو ..

وأنه يتعرّض للخطر ..

وكأى شخص آلى ، انطلق (س ١٨) بلا تردد ، لنجدة سيّده ..

واقتحم القاعة الإمبراطورية ..

* * *

لم يكد (نور) يرى (س ١٨) ، وهو يقتحم القاعة على هذا النحو ، حتى انتعش الأمل فى قلبه مرة أخرى ، على عكس (الشيطان الابن) ، الذى تراجع هاتفًا :

— اللعنة !

امتزج الارتياح بالدهشة ، فى قلب الدكتور (حجازى) ، عندما تلاشت الأشكال المخيفة الملتهبة ، فور ظهور (س ١٨) ، وهتف :

— حمدًا لله .

ومع هتافه أطلق (س ١٨) من صدره شعاعًا أصفر ، أحاط بكرة اللهب ، وراح يدور حولها فى سرعة ، ثم تلاشت الكرة بغتة ، وتهاوَت كهشيم ورماد ، فتراجع (ابن الشيطان) فى سخط ، وهو يهتف :

— اللعنة !!

لم تعنِ الكلمة شيئًا لـ (س ١٨) ، الذى واصل قتاله ، فأطلق حزمتين من أشعة الليزر القاتلة نحو (ابن الشيطان) ، الذى استقبلهما بضحكة ساخرة ، وهو يقول :

— لا تحاول أيها المقاتل الآلى .. لا تحاول .

تجاهل (س ١٨) هذا القول ، وراح يطلق أسلحته المختلفة نحو خصمه ، مستخدمًا الأقوى فالأقوى ..

ثم لم يلبث أن توقّف ..

كان عليه أن يدرس هذا الموقف ، بعد أن تبيّن له أن أسلحته تعجز عن إصابة هذا الخصم ، الذى لم يلتق بمثله من قبل ..

وجلجلت ضحكة (الشيطان الإبن) الساخرة ، وهو يهتف :

— أرأيت أيها الآلى .. أسلحتك القادرة على إبادة قارة

كاملة ، تعجز عن هزيمتى .. إننى الأقوى فى كل العصور .

راح يكرّرها ويردّدها فى زهو جنونى ، حتى صاح (نور) بغتة :

ــ إنه مجرّد خصم من ورق يا (س ١٨) .. فقط خصم من ورق .

وقبل أن يدرك (ابن الشيطان) ما يعنيه هذا الأمر ، كان (س١٨) قد أدركه ، وصنّفه ، ووضعه موضع التنفيذ ..

وانطلق من فم (س ١٨) لسان من اللهب ..

لسان نارى أصاب (الشيطان الابن) فى صدره تمامًا ..

وصرخ (إبليس الصغير) ..

أطلق صرخة هائلة ، تجمع الألم والمرارة والدهشة والهزيمة فى صوت واحد ..

وراح جسده يشتعل ..

ونهض (نور) فى بطء ، وهو يكرّر :

ــ نعم .. هو مجرّد خصم من ورق .

وهتف الدكتور (حجازى) :

ــ يا إلهى !.. إنك عبقرى بحق يا (نور) .. الآن فقط



وقبل أن يدرك (ابن الشيطان) ما يعنيه هذا الأمر ، كان (س ١٨) قد أدركه ، وصنّفه ، ووضعه موضع التنفيذ

فهمت .. لقد أخبرت (س ١٨) أن هذا الملعون مجرّد خصم من ورق ، فاستخدم (س ١٨) على الفور أقوى سلاح ضد الورق .. النيران .. يالك من عبقرى !

ولكن (ابن الشيطان) راح يصرخ وهو يحترق :

— ولكنكم لم تنتصروا بعد .. حتى هذا اتخذت حذرى منه .. أتعلم ما سيحدث مع هزيمتى ؟.. ستنفجر قنبلة من قنابل (جاما) فى جو كوكب الأرض .. قنبلة من تصميمى أنا ، ومن صنع تكنولوجيا (جلوريال) .. أتدرك تأثير هذه القنبلة ؟.. لن تدركه بالتأكيد .. كل سكان الأرض سينسون حضارتهم السابقة تمامًا .. سيفقد كوكبك قرونًا من التقدّم والحضارة .. ستعودون إلى الوراء .. إلى الوراء .. إلى الوراء .

تلاشت كلماته مع تلاشى جسده ، عندما تحوّل إلى لسان من النار ، خبا فى سرعة ، تاركًا خلفه ذلك القرص الملعون ..

وفى نفس اللحظة دوى انفجار مكتوم ..

انفجار قنبلة (جاما) ..

* * *

١٥ ـ الختام ..

تنهّد الدكتور (حجازى) فى عمق ، وهو يتطلّع إلى نقطة مشتعلة ، تبتعد فى سرعة كبيرة عن الأرض ، وقال :

— ها هى ذى آخر سفن المحتلين ، ترحل عن كوكبنا ..

لم يتلق جوابًا من (نور) ، الذى جلس صامتًا ، يستند بجبهته إلى راحته ، وقد كسا الحزن ملامحه كلها ، فأضاف فى خفوت :

— هل يمكننا أن نعتبر هذا نصرًا يا (نور) ؟

رفع (نور) إليه عينيه الحزينتين ، وهو يسأله :

— أخبرنى أوّلًا يا دكتور (حجازى) ، كيف حال (سلوى) و (محمود) ؟

أجابه الدكتور (حجازى) متعاطفًا :

— زوجتك تعانى انهيارًا عصبيًا حادًا يا (نور) ، بعد أن شاهدت مصرع ابنتكما بعينيها ، وستحتاج إلى وقت طويل ، قبل أن تسترجع طبيعتها ، و (رمزى) يشرف على علاجها بنفسه ، أما (محمود) فسيتعافى بسرعة بإذن الله .

ثم جلس إلى جواره مستطردًا :

ـ لقد كان حظ فريقنا أفضل كثيرًا من حظ باقى سكان الأرض ، فلقد أنقذتنا جدران السفينة الإمبراطورية من تأثير قنبلة (جاما) ، أنت و (سلوى) وأنا ، وكذلك نجا (محمود) والفريق الطبى ، لوجودهم داخل مخبأ المقاومة السرى ، ذى الجدران العازلة ، وأيضًا (رمزى) و (سلوى) ، داخل محطة البث العامة ، المعدّة لاحتمال هجوم نووى ..

وتنهّد مرة ثانية ، قبل أن يتابع :

ـ وكأنما انتخبنا القدر من بين الدنيا كلها ، لنظل محتفظين بعقولنا وحضارتنا وعلومنا .

تمتم (نور) :

ـ ربّما كان هذا أيضًا من أجل الأرض .

غمغم الدكتور (حجازى)

ـ ربّما .

ران عليهما الصمت لحظات ، قبل أن يقول (نور) فى مرارة :

ـ ولكن الخسائر كانت فادحة .

ربّت الدكتور (حجازى) على كتفه ، وقال مشفقًا :

ـ أعلم هذا يا (نور) .. والداك .. ابنك .. (فارس) .. القائد الأعلى .. الدكتور (عبد الله) .. وغيرهم .. وغيرهم .. لقد خسرنا الكثير مما نحب وممن نحب يا (نور) ، ولكن هكذا الحروب ، يخسر فيها المرء دومًا أكثر مما يربح .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ـ مهما كانت نتائجها ..

* * *

تطلّعت (مشيرة) إلى (سلوى) النائمة فى إشفاق ، وهمست تسأل (رمزى) :

ـ أتظنها ستشفى ؟

أجابها فى خفوت :

ـ بالتأكيد .. إنها مسألة وقت فحسب .

سألته :

ـ هل يمكن أن تنسى ابنتها ؟

أجابها فى حزم :

ـ مستحيل !

وبكت كلماته ، وهو يستطرد :
لن تنساها أبدا .
شعرت بغيرة تتسلل إلى أعماقها ، وهي تسأله :
ــ أكنت تحبها حقًا .
تنهد وأجاب :
ــ نعم .
انخفض صوتها ، وهي تهمس :
ــ وماذا عني أنا ؟
تطلع إليها لحظة في صمت ، ثم رفع رأسه إلى أعلى ، وغمغم :
ــ سيحتاج هذا إلى بعض الوقت .
تأبطت ذراعه ، وأسندت رأسها إلى كتفه ، وهي تهمس في حنان :
ــ سأنتظر .
لم ينبس ببنت شفة ..
ولم تشعر هي أيضًا بالرغبة في الحديث ..
كانت هذه اللحظة تكفيها ..
وكانت تعلم أنه يحتاج إلى وقت طويل ..

لينسى ..
وليحب ..
وعليها أن تنتظر ..
مهما طال الأمد ..

* * *

فجأة قطع الدكتور (حجازى) حبل الصمت ، وهو يسأل (نور) :
ــ قل لي يا (نور) : أين وضعت القرص الشيطاني هذه المرة ؟
أشار (نور) إلى (س ١٨) ، الذي يقف ساكنًا ، وأجاب :
ــ هناك .. في قلب (س ١٨) .
تطلع الدكتور (حجازى) إلى (س ١٨) ، وابتسم قائلًا :
ــ أظن أنه ما من مكان آمن ، أعظم من هذا .
وعاد يتطلع إلى السماء لحظات ، ثم سأل (نور) في اهتمام :
ــ أخبرني يا (نور) : بعد كل ما فقدناه ، ومن

فقدناهم ، وبعد ما أصاب سكان الأرض من تخلف فكرى وانحطاط حضارى ، ومع رحيل المحتلين ، هل يمكننا أن نطلق على هذا اسم النصر ؟

أجابه (نور) :

ـ إننا أحرار الآن يا دكتور (حجازى) ، ومع كل ما ستعانيه الأرض ، بعد آثار قنبلة (جاما) الرهيبة ، سيبقى هناك الأمل فى أن تستعيد كل حضارتها وعلمها .. صدّقنى يا دكتور (حجازى) ، حريتنا وحدها تستحق أن نطلق على ما حدث هذا الاسم بكل فخر واعتزاز .. النصر ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٢١٥

المطبعة العربية الحديثة
٨ شارع ٤٧ بالمنطقة الصناعية بالعباسية
القاهرة ـ تليفون ٨٢٦٢٨٠